نحن وملفات جيفرى ابستين السرية 03

الاقتصاد المصرى أصبح أكثر هشاشة أمام العالم 05

فوضى الفراغ.. مصر فى مرمى التمهيدات (دراسة) 70-06

السيسى يوجّه بحزمة دعم نقدى للفئات الأولى بالرعاية وصرف مرتبات فبراير قبل رمضان

اجتمع الرئيس عبد الفتاح السيسى ، مع الدكتور مصطفى مدبولى رئيس مجلس الوزراء، و أحمد كجوك وزير المالية. كما اجتمع فى وقت لاحق مع الدكتور مصطفى مدبولى رئيس مجلس الوزراء، والمهندس محمود عصمت وزير الكهرباء والطاقة المُتجددة.

وصرح المتحدث الرسمى باسم رئاسة الجمهورية بأن الرئيس اطلع خلال الاجتماع الأول على حزمة جديدة للحماية الاجتماعية تستهدف دعم الفئات الأولى بالرعاية والأقل دخلا، وذلك بالتزامن مع حلول شهر رمضان المبارك.

وقد وجّه الرئيس الحكومة بالإعلان عن هذه الحزمة وبدء تطبيقها قبل بداية الشهر الكريم، بحيث تكون فى صورة دعم نقدى مباشر للفئات المستحقة لمساندتها بمناسبة شهر رمضان وعيد الفطر.

كما وجّه الرئيس بأهمية صرف مرتبات شهر فبراير الجارى لموظفى الدولة خلال الأسبوع الحالى وقبل حلول الشهر الفضيل. وأصدر توجيهات رئاسية بتأمين التغذية الكهربائية صيفًا

وأشار السفير محمد الشناوي، المتحدث الرسمي، إلى أن الرئيس عقد اجتماعين الأول تناول أيضاً الموافقة على توفير مخصصات مالية إضافية للانتهاء من مشروعات المرحلة الأولى من مبادرة "حياة كريمة"، وخلق فرص عمل للفئات الأكثر احتياجا، فضلاً عن دعم قطاع الصحة من خلال توفير العلاج الطبى وتحسين خدمات الرعاية الصحية، وعلاج الحالات الحرجة وقوائم الانتظار، وتسريع تطبيق منظومة التأمين الصحى الشامل.

وأوضح المتحدث الرسمى أن الاجتماع تطرق كذلك إلى الإجراءات الخاصة بزيادة دخول العاملين بالدولة، وحزمة التسهيلات والإصلاحات الضريبية المقترحة للعام المالى ٢٠٢٦/٢٠٢٧، بما يشمل تطوير وتبسيط منظومة الضرائب وكذلك منظومة الضريبة العقارية، وتطبيق بعض التعديلات على التعريفات الجمركية لمساندة الصناعة الوطنية وتشجيع الاستثمار والحد من التهريب، إلى جانب بعض الإصلاحات فى إطار تلبية طلبات قطاع الصناعة.

وذكر المتحدث الرسمى أن وزير المالية استعرض تطورات المفاوضات مع صندوق النقد الدولي، وجهود خفض معدلات مديونية أجهزة الموازنة إلى الناتج المحلى باعتبارها أولوية وطنية، بالإضافة إلى متابعة تنفيذ استراتيجية إدارة الدين، وتطورات الأداء المالى والاقتصادي، وخطط تعزيز ثقة المستثمرين ورفع تنافسية الاقتصاد المصري.

وعن الاجتماع الثانى مع الدكتور مصطفى مدبولى رئيس مجلس الوزراء، والمهندس محمود عصمت وزير الكهرباء والطاقة المُتجددة، صرح المُتحدث الرسمى باسم رئاسة الجمهورية بأن الرئيس أطلع خلاله على خطة وزارة الكهرباء والطاقة المتجددة لتأمين التغذية الكهربائية للمواطنين خلال أشهر الصيف المقبل، لمجابهة الارتفاع فى معدلات الاستهلاك المتزايد على الشبكة القومية للكهرباء.

توجيهات رئاسية بتأمين التغذية الكهربائية صيفًا

وفى هذا الصدد؛ أشار وزير الكهرباء والطاقة المتجددة إلى أن هناك زيادة متوقعة فى الأحمال على الشبكة القومية للكهرباء تتراوح ما بين ٦ إلى ٧٪ خلال أشهر الصيف المقبل، وبالتالى فمن المخطط أن يتم إضافة ٣ آلاف ميجا وات من الطاقة الشمسية خلال العام الجاري، مع إضافة قدرات جديدة بنظام بطاريات التخزين قبل الصيف بإجمالى ٦٠٠ ميجا وات ليصبح إجمالى القدرات المتاحة على الشبكة بهذه التكنولوجيا ١١٠٠ ميجا وات.

وقد أكد الرئيس ضرورة استيعاب ارتفاع الأحمال والزيادة غير المسبوقة فى الاستهلاك، مع استمرار العمل لضمان استقرار الشبكة واستمرارية التيار الكهربائى ومواجهة التعديات، وإضافة قدرات من الطاقات المتجددة إلى مزيج الطاقة، وتطبيق معايير الجودة والتشغيل الاقتصادي.

وأضاف السفير محمد الشناوي، المُتحدث الرسمي، أن الرئيس تابع خلال الاجتماع أيضاً خطة دعم وتطوير وتحديث المنظومة الكهربائية، حيث أكد المهندس محمود عصمت أن الشبكة القومية للكهرباء تعمل وفقا لأعلى معايير الجودة، وتشهد استقرارا فى تلبية احتياجات المواطنين، مشيرا إلى أن وزارة الكهرباء والطاقة المتجددة وشركاتها التابعة مستمرة فى بذل المزيد من الجهد لتوفير احتياجات المواطنين سواء للقطاعات المنزلية أو التجارية أو الصناعية، حيث تم الانتهاء من إنشاء ٣٤ محطة محولات جديدة بمستويات جهد مختلفة، وربطها بالشبكة الموحدة خلال العام الماضي، بالإضافة إلى التوسعات التى شملت ٤٠ محطة أخرى، فضلا عن مد خطوط توزيع بطول ١٩٤ ألف كيلومتر، وخطوط نقل بطول ٥،٦١٠ كيلومتر.

وذكر المُتحدث الرسمى أن الاجتماع شهد أيضاً استعراضاً للموقف التنفيذى لمشروعات الربط الكهربائى مع عدد من دول الجوار، حيث تم التأكيد أن مصر تمضى قدماً لتصبح مركزاً إقليمياً لتبادل الطاقة، عبر تدعيم الربط القائم، ومواصلة العمل والدراسات للربط الكهربائى مع عدد من الدول الشقيقة والصديقة. وفى هذا الإطار؛ أشار السيد وزير الكهرباء والطاقة المتجددة إلى أن مشروع الربط الكهربائى بين مصر والسعودية سيلعب دورا هاما فى استقرار الشبكة القومية للكهرباء خلال الصيف المقبل، وأنه سيتم إطلاق التيار الكهربائى بالمرحلة الأولى من المشروع بقدرة ١٥٠٠ ميجا وات الأمر الذى سيدعم الخطة العاجلة لتأمين صيف ٢٠٢٦.

وأشار المتحدث الرسمى إلى أن السيد الرئيس قد وجه بضرورة توفير وإتاحة مختلف احتياجات القطاعات الإنتاجية والخدمية من الطاقة، بما يضمن استمرار عجلة الإنتاج، وجذب المزيد من الاستثمارات، وتلبية الاحتياجات الاستهلاكية للمواطنين. كما وجه سيادته بالاستمرار فى تنفيذ مختلف المشروعات والإجراءات التى من شأنها أن تسهم فى الارتقاء بجودة التشغيل، وتحسين معدلات الأداء، لمواجهة الفقد الفنى والتجاري، وخفض استهلاك الوقود، وتحسين جودة التغذية الكهربائية، والحفاظ على استقرار واستدامة التيار الكهربائي.

كما وجه الرئيس أيضاً بالعمل المستمر على التوسع فى مشروعات الطاقة المتجددة والاعتماد عليها، والحد من استخدام الوقود الأحفوري، مع العمل على توطين صناعة المهمات الكهربائية ونقل التكنولوجيا الحديثة.

أميرة الشريف

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 346 – السنة الرابعة عشرة -

الأحد 15 فبراير 2026 م -

27 شعبان 1447 هـ

10 صفحات - الثمن : 5 جنيهات

المشهد

لا سقف للحرية

كتب

زينب عبد اللاه تعيد الحياة للمبدعين 08

ثقافة

جمر الكلام الذى يضئ الشعر 09

تغطيات

افتتاح مستشفى ٢٥ يناير 10

مجلس النواب يوافق نهائيا على تعديلات قانون الخدمة العسكرية والوطنية

وافق مجلس النواب خلال جلسته العامة برئاسة المستشار هشام بدوي، نهائيا على مشروع قانون مقدم من الحكومة بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٨٠ بإصدار قانون الخدمة العسكرية والوطنية

يهدف مشروع القانون إلى إضافة العمليات الإرهابية كمعيار إضافى للإعفاء من أداء الخدمة العسكرية بحالتيه النهائى والمؤقت تقديرًا لتضحيات رجال القوات المسلحة والشرطة فى العمليات الحربية أو الإرهابية وما لحق من أضرار بالأبرياء من المواطنين المدنيين بما يراعى البعد الإنسانى والاجتماعى لأبناء الشعب المصري.

كما تم تعديل الغرامات المالية المقررة على جرائم التخلف عن التجنيد أو الاستدعاء لتحقيق الردع العام والخاص، بما يتوافق مع مبدأ التناسب بين الجريمة والعقوبة.

وجاء مشروع القانون فى مادة واحدة بخلاف مادة النشر على النحو التالي:

(المادة الأولى) تضمنت المادة الأولى من مشروع قانون بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٨٠ بإصدار قانون الخدمة العسكرية والوطنية التعديل على: المادة (٧) تناولت استبدال البندين (ج) - (د) من أولا والبند (هـ) من ثانيا، وذلك للمساواة بين العمليات الحربية والإرهابية كمعيار للإعفاء بحالتيه النهائى والمؤقت من التجنيد الإلزامي.

وتضمنت المادتان (٤٩، ٥٢) من مشروع القانون، تشديد عقوبة الغرامة المالية الواردة بهما فى أحوال التخلف عن التجنيد أو التخلف عن الاستدعاء.

وأكد تقرير مجلس النواب، أن التعديلات المتضمنة فى مشروع القانون جاءت فى ظل التطبيق العملى لقانون الخدمة العسكرية والوطنية الصادر بالقانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٨٠ بضرورة تعديل نظام الإعفاء بحالتيه النهائى والمؤقت لتكريم ما قدم من تضحيات لرجال القوات المسلحة والشرطة وما لحق من أضرار بالأبرياء من المواطنين المدنيين ومراجعة العقوبات التى توقع على المخالفين لأحكامه التى تعنى بضمان عدم التخلف عن التجنيد أو الاستدعاء بالتشديد للموازنة بين الفعل المؤثم والعقوبة تحقيقا للردع فى إطار العدالة الجنائية.

كتب - السيد جمال الدين

مجلس النواب يوافق نهائيا على تعديلات قانون الخدمة العسكرية والوطنية

أول تعليق من محامى وزيرة الثقافة على أزمة كتابها

استعرض المستشار علاء عابد المحامى بالنقض والدستوريه العليا، آخر مستجدات موقف الدكتورة جيهان زكى والنزاع المنظور أمام القضاء حول كتاب "كوكو شانيل وقوت القلوب"

قال علاء عابد فى بيانه: فى ضوء ما أُثير مؤخرًا من جدل بشأن النزاع المنظور أمام القضاء حول الكتاب واللغط الذى أثارته منشورات على صفحات التواصل الاجتماعى استنادًا لما تنشره مؤلفة كتاب "قوت القلوب الدمرداشية"، وأمور أخرى، يتعين توضيح ما يلي:

أولاً: أن الدكتورة جيهان زكى هى عالمة مصريات ذات سمعة دولية ويشار اليها بالبنان فى محافل البحث العلمى لعلوم المصريات، والتى تتطلب الكثير من التدقيق والتروى والبحث العلمى السليم وان يكون النقل مسندًا غير مجهل. ومن غير المتصور أن تقع مثل هذه القامة فى خطأ عدم نسبة نص ادبى الى كاتبه عند الاستعانة به، وهى التى تعلم طلابها بضرورة عدم الوقوع فيه.

ثانيًا: عند تناول شخصية قوت القلوب فى مؤلفها، استقت د. جيهان زكى — وكما هو متعارف عليه أكاديميًا — معلوماتها من مصادر متعددة، منها مكتبة الأهرام، روز اليوسف، دار الهلال وغيرها، بالإضافة إلى كتب أخرى تناولت سيرة قوت القلوب من قبل.

ثالثا: إن العمل المشار إليه قد تم إعداده فى إطار من الالتزام بالقواعد المنظمة لحقوق الملكية الفكرية، واستنادًا إلى ما تقرره أحكام القانون، والتى تجيز الاقتباس فى الحدود المشروعة وبما لا يخل بحقوق المؤلف، مع الإشارة إلى المصدر

رابعًا: تؤكد الدكتورة جيهان زكى على الاحترام الكامل لأحكام القضاء، وأنها عندما تبدى لها وجود ثغرات غير مبررة فى الدفاع عن موقفها خلال المرحلة الاولى من نظر القضية، اتخذت قرارها بتبديل محامى الدفاع للمضى فى نقض الحكم الصادر ضدها وحيث انها حاليا فى انتظار نظر محكمة النقض فى الطعن المقدم. ﴿يشار هنا الى أن الحكم الصادر بتاريخ ٩ يوليو ٢٠٢٥ يعد بطبيعته استئنافيًا حيث أن الدعوى المقامة كانت غير مقدرة القيمة، مما يتيح اللجوء الى محكمة النقض لنقض الحكم﴾.

خامسًا: أما فيما يتعلق بما سبق ونشره موقع زاوية ثالثة (الذى تبين أنه يبث من خارج البلاد) من اساءات معظمها يصنف تحت بند الخوض فى الاعراض والسب والقذف والتشهير وتستدعى اللجوء الى اتخاذ الاجراءات القانونية الفورية ازاء كل من يعيد نشر تلك الاساءات كليًا أو جزئيًا بأى شكل كان باعتبارها جرائم معاقب عليها بموجب المواد أرقام (٢٥، ٢٦، ٢٧) من القانون رقم ١٧٥ لسنة ٢٠١٨ بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات، وكذا المواد أرقام (٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٨) من قانون العقوبات المصري.

وزير الخارجية يعلن ثبات موقف مصر من قضايا المياه والبحر الأحمر

أكد الدكتور بدر عبد العاطي، وزير الخارجية والتعاون الدولي والمصريين بالخارج في لقاءاته مع قيادات الاتحاد الأفريقي ورؤساء وزراء ووزراء خارجية الدول الأفريقية على هامش قمة الاتحاد الأفريقي المنعقدة في أديس أبابا يومي ١٤ و ١٥ فبراير، أن المياه حق أساسي من حقوق الإنسان، فهو حق إنساني واجتماعي في المقام الأول.

وشدد على أن الحصول على مياه شرب حق لا غنى عنه، مؤكدا أن اعتماد رؤية وسياسة إفريقيا للمياه ٢٠٦٣، على مستوى قمة رؤساء الدول والحكومات الإفريقية يعد خطوة للأمام للحفاظ على الحق في المياه وهي الرؤية التي أكدت على ضرورة الالتزام بالقانون الدولي، بما في ذلك مبادئ التوافق والتعاون وعدم الإضرار، لا سيما تلك المتعلقة بالمشاريع على الأنهار المشتركة والعابرة للحدود.

كما أكد الوزير عبد العاطي أن حوكمة البحر الأحمر يجب أن تقتصر على الدول المشاطئة له فقط، مؤكدا رفض مصر القاطع لأي محاولات من أطراف خارجية لفرض نفسها كشريك في حوكمة البحر الأحمر، مشددا أنه يجري العمل على تفعيل مجلس الدول العربية والأفريقية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن للإسهام في تعزيز التعاون بين الدول الأعضاء، وتحقيق التنمية المستدامة، وترسيخ الأمن والاستقرار في المنطقة.

والتقى الدكتور بدر عبد العاطي بكل من فوستين أرشانج تواديرا رئيس جمهورية أفريقيا الوسطى، و جوزيف ديون نجوتي رئيس وزراء جمهورية الكاميرون، على هامش مشاركته في أعمال القمة الأفريقية. ونقل الوزير تحيات وتقدير الرئيس عبد الفتاح السيسي لهما، مؤكدًا حرص مصر على تعزيز العلاقات الثنائية وتطوير التعاون المشترك بما يسهم في تحقيق المصالح المتبادلة ويدعم جهود الاستقرار والتنمية في القارة الأفريقية.

من جانبهم، طلب رئيس جمهورية أفريقيا الوسطى، ورئيس وزراء جمهورية الكاميرون، نقل تحياتهما وتقديرهما إلى الرئيس عبد الفتاح السيسي، مشيدين بحكمة قيادته ودوره البارز في دعم جهود السلم والاستقرار والتنمية في القارة الأفريقية، وثمنا الدور المحوري الذى تضطلع به مصر في تعزيز العمل الأفريقي المشترك، وأكدا حرص بلديهما على مواصلة تعزيز التعاون مع مصر في مختلف المجالات .

المشهد
العدد 346 – السنة الرابعة عشرة - الأحد 15 فبراير 2026 م - 27 شعبان 1447 هـ

قالت العرب

نالَ منّي الهوى مَنالًا عَجيبا / وَتَشكَّيتُ عاذلي وَالرَقيبا /
شِبتُ طِفلًا وَلَم يَحن لي مَشيبٌ / غَيرَ أَنَّ الهَوى رَأى أن أشيبا /
أَسعَديني عَلى الزَمانِ غَريبٌ / إِنَّما يُسعِدُ الغَريبُ الغَريبا
أبو نواس (٧٦٣م - ٨١٣م)

اختيار الوزراء بين الدفاع وتجنب تبرير الأخطاء

ليس هناك اختلاف على أن الصديق والزميل ضياء رشوان وزير الدولة للإعلام، بعد عودة الوزارة مرة عقب سنوات من الغياب، يتفهم ملف الإعلام بكل تفاصيله، وما تعانيه صناعة الصحافة والإعلام بصفة عامة من أزمات، وتشابكات بين السلطة وأهل المهنة.

ومن هنا يأمل أهل صناعة الصحافة والإعلام أن يذوب الجليد بين الطرفين، وتنصهر الأبواب الحديدية التى أدت إلى تراجع الأداء الإعلامى بحرية أعلى ليعود إلى سابق عهده فى أن تكون الصحافة ووسائل الإعلام أداة قوية لنقل الحرارة الشعبية عن قضايا الناس الحقيقية إلى متخذى القرار، وفى ذلك الوقت ناقل جيد لتبادل المعلومات بين الطرفين، وليس من طرف واحد.

الملاحظة المبدئية التى لفتت الأنظار هو البداية المتسرعة من وزير الإعلام فى خلق تبريرات لخطأ حكومى وعدم تدقيق فى السيرة الذاتية لبعض الوزراء، وهو ذات الخطأ الذى جرى فى اختيار وزير التربية والتعليم والتعليم الفنى فى تشكيل الوزارة قبل الأخيرة.

وقبل التبرير لخطأ حكومي، والسعى فى توضيحه ومحاولة تبييض سمعة لم ينفها وزير الإعلام، فما ذكره يدخل فى بند التوضيحات وليس تقديم معلومات عكس ما هو قائم بالفعل، فى ضوء ذلك أليس كان الأفضل أن تتأنى جهات الاختصاص فى الاختيار، وتجميع معلومات وبأكثر دقة.

قضية العجلة فى اختيار وزراء عليهم لغط، عالجتها السينما بإبداع منذ ما يقرب من ربع قرن فى الفيلم المبدع "معالى الوزير"، والذى تم طرحه للعرض طرح فى ٥ ديسمبر ٢٠٠٢ للعبقرى الراحل الفنان أحمد زكى وبطولة لبلبة وهشام عبد الحميد ويسرا وعمر الحريرى، ومن ابداعات الكاتب الكبير وحيد حامد فى التأليف ومن إخراج سمير سيف.

القصة تعالج الاختيار لأسماء وزراء، وإن تشابهت الأسماء، إلى أنها تصب فى قضية وزراء بيننا اليوم، ولم يستطع رئيس الوزراء فى الفيلم "عمر الحريري" إصلاح الخطأ الذى تم الوقوع فيه، وتغاضى عنه، خشية الفضيحة، بل أصبح الوزير نفسه خطراً عليه، حتى بعد ترك رئيس الوزراء منصبه.

وبدلاً من أن تتجنب الجهات الحكومية المأزق الذى تواجهه الآن، لم تدقق كل الجهات المعنية فى معلوماتها عن بعض المرشحين للمناصب الوزارية.

لا يعنى ذلك طعناً فى شخوص من تم اختيارهم للمناصب الوزارية، بقدر ما كان يجب أن يكون وجود تدقيق معلوماتي، حتى تصدر بشأنهم قرارات نهائية من القضاء، ومن صاحب الفصل النهائى فى مثل هذه الأمور.

ولم تمر ساعات على ما أثارته وسائل التواصل الاجتماعي، ومواقع صحفية، عن وزيرتى الثقافة والإسكان، حتى جاءت تبريرات وزير الدولة للإعلام ضياء رشوان، على الشبهات والاتهامات التى طالت بعض وزراء الحكومة الجديدة، فى اعتراف بوجود قضايا مثارة ضد الدكتورة جيهان زكي، وزيرة الثقافة، وأنها ما زالت فى محكمة النقض ولم يصدر فيها حكم بات، فيما أن المهندسة "راندا المنشاوي"، وزيرة الإسكان، ارتكبت خطأً غير مقصود وليس جنائية!!، موضحا أن النيابة العامة قررت تسوية القضية بشكل رسمي.

وزاد من التبريرات بالقول إن الحكومة ستكون أول المنضمين للمدعى فى حال تقديم أى مستندات موثقة تثبت وقائع فساد حقيقية، قائلًا: "أى حديث عن فساد موثق بمستندات فإن الحكومة ستنضم للمدعي، وهذا الموقف يعكس جدية الدولة فى محاربة الفساد وعدم التهاون مع أى مسؤول مقصر.

واختلفت الأراء حول سرعة الرد من وزير الدولة للإعلام، فهناك من يراه أنه سرعة فى الأداء والتوضيح، وقطع الطريق عن أى تأويل، وعلى الجانب الآخر هناك من يرى أنه تبرير غير مقنع لخطأ يصل إلى سوء التقدير، خصوصاً أنه بدى فى التوضيح تحميل طرف ثالث "المحاسبة" بشأن ما يتعلق بملف وزيرة الإسكان، بمعنى إدخال ضحية ليتحمل مسؤولية الخطأ.

الأخطر من قراءة كل ما دار حول هذا الملف، يقع فى بند من أخطأ فى تقديم المعلومات الكفيلة من جانب جهات تعرف "دبة النملة" عن كل مواطن، فما بالك فى اختيار وزراء!!، وغاب عن كل هؤلاء أن تجنيب الحكومة أى انتقاد كان ممكنا، بدلا من خضوعها لتقديم تبريرات، من الصعب اقناع المتابعين من أفراد هذا الشعب بها.

وأهمية الموضوع فى ملف وزيرتى الثقافة والإسكان، أن الأولى متهمة بالسطو على كتاب خاصة بكاتبة، وقضايا أخرى تتعلق بمقتنيات أكاديمية المصرية للفنون فى روما، والثانية محل اتهام فى قضايا حققت معها فيها مباحث الأموال العامة.

بغض النظر عن القرار النهائى فى قضايا وزيرتى "الثقافة والإسكان"، يأتى السؤال، أليس كان من الأفضل أن تتجنب الحكومة كل هذا اللغط والانتقادات، بل تجنيب من تم اختيارهم هذه الأحاديث والجدل على كل وسائل التواصل الاجتماعي، بدلا من دخول حالة من الدفاع عن الاختيارات والأشخاص، والاتهام بتبيض سمعة بعض من هم مازلوا محل اتهام.

رغم ما أثرته بشأن تصريحات وزير الدولة للإعلام، إلا أننى سعدت بحديثه عن أزمة الإعلام المصري، مؤكداً أنها المسؤولية الجماعية عن تردى المشهد الإعلامي، وأنها صناعتنا كلنا ونحن ضحاياها جميعًا.

وهى بداية لتشخيص واضح وصريح، للدخول فى وسائل معالجة لقضايا جرت مناقشتها مرارا وتكرارا، فى ندوات ومؤتمرات، منها مؤتمر الصحفيين السادس، وانتهت كل هذه الفعاليات إلى مخرجات من المهم أن تكون نقاط للانطلاق نحو حلول جادة، لاستعادة الثقة الشعبية فى الصحافة والإعلام، بإعلان الحقائق وطرح المعلومة الصحيحة فى وقتها، وصولا إلى تأكيد أن ذلك - كما ال رشوان - "السلاح الأهم فى مواجهة الأكاذيب والشائعات".

بقلم: محمود الحضري

ضرب إيران .. "بلطجة" نتنياهو و"تحذيرات" السيسى الحكيمة!

منذ سنوات طويلة، يتبنى رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو خطابا يقوم على اعتبار إيران التهديد الأكبر للأمن القومى الإسرائيلي، وهو ما انعكس فى سياساته الخارجية وتصريحاته المتكررة حول ضرورة مواجهة طهران عسكريًا إذا لزم الأمر .. فى المقابل، جاءت تحذيرات الرئيس عبد الفتاح السيسى لتؤكد أن أى مواجهة مباشرة بين إسرائيل وإيران ستكون لها تداعيات كارثية على المنطقة بأكملها، بما يتجاوز حدود الدولتين.

وفى تصريحاته الأخيرة، أكد نتنياهو أن إسرائيل قادرة على ضرب جميع المنشآت النووية الإيرانية، مشيرا إلى أن بلاده دمرت أكثر من نصف منصات إطلاق الصواريخ الإيرانية خلال أسبوع واحد من المواجهة، واصفا إيران بأنها تمثل "تهديدا وجوديا" بسبب برنامجها النووى والصواريخ الباليستية .. ويتزامن ذلك مع تحديات سياسية داخلية يواجهها نتنياهو من بينها ملفات فساد وصراعات حزبية، ما يدفعه إلى استخدام الملف الإيرانى كأداة لتوحيد الداخل الإسرائيلى خلفه وإظهار نفسه كزعيم قوى قادر على حماية الدولة.

وعلى الرغم من أن واشنطن تميل إلى الحلول الدبلوماسية، إلا أن نتنياهو يسعى دائما لدفعها نحو موقف أكثر تشددا، مستفيدا من علاقاته الوثيقة مع الإدارات الأمريكية المتعاقبة، فإسرائيل ترى أن إيران تستخدم أذرعها فى المنطقة، مثل حزب الله والميليشيات العراقية والحوثيين، لتهديد أمنها، وبالتالى فإن ضرب إيران مباشرة يعتبر وسيلة لتقليص نفوذها الإقليمى .. ومن ثم يعلن رئيس الوزراء الإسرائيلى رفض أى هدنة قبل تحقيق أهداف الحرب كاملة، مؤكدا أن إسرائيل ستواصل عملياتها حتى القضاء على التهديد النووى الإيرانى بشكل نهائى .

وإزاء هذا السيناريو المعقد فى تفاصيله وخيوطه الشيطانية، عبر الرئيس السيسى فى أكثر من مناسبة عن رفضه لأى تصعيد عسكرى واسع فى المنطقة، محذرا من أن أى مواجهة مباشرة بين إسرائيل وإيران ستؤدى إلى زعزعة الاستقرار الإقليمى فالمنطقة تعانى بالفعل من أزمات ممتدة فى سوريا واليمن والعراق، وأى حرب جديدة ستفاقم الأوضاع وتفتح جبهات إضافية، فضلا عن تهديد الملاحة الدولية حيث إن مصر تدرك أن أى صراع فى الخليج أو مضيق هرمز سيؤثر مباشرة على حركة التجارة العالمية، بما فى ذلك قناة السويس التى تعد شريانا حيويا للاقتصاد الدولى ..وسيتدهور الوضع إلى تداعيات اقتصادية عالمية تتمثل فى ارتفاع أسعار النفط والغاز نتيجة الحرب مما يؤثر على الاقتصاد العالمي، بما فيه الاقتصاد المصرى الذى يعتمد على الاستقرار الإقليمى لجذب الاستثمارات.

أما عن الإرهاب والفوضى الناتجين عن الحرب المحتملة، فالتصعيد يوفر بيئة خصبة للجماعات الإرهابية لإعادة تنظيم صفوفها، بما يشكل تهديدا مباشرا للأمن القومى المصرى والعربى .. وكلها عوامل تبرهن على أن مخطط نتنياهو لضرب إيران يعكس مزيجا من الدوافع الأمنية والسياسية والشخصية، فهو يسعى لتثبيت نفسه كزعيم قوى قادر على مواجهة التهديدات، ويستخدم الملف الإيرانى كأداة لتقوية موقعه داخليا وخارجيا .. أما تحذيرات السيسى فتعكس رؤية واقعية لمخاطر الحرب، إذ يدرك أن أى مواجهة شاملة لن تكون نتائجها محصورة بين إسرائيل وإيران، بل ستشمل المنطقة بأكملها وربما العالم ..وبينما يواصل نتنياهو التلويح بالخيار العسكرى ضد إيران، تأتى تحذيرات السيسى لتذكر العالم بأن الحرب ليست مجرد قرار سياسي، بل هى مغامرة قد تجر المنطقة إلى فوضى شاملة .. والتوازن بين هذين الموقفين يعكس الصراع الدائم بين منطق البلطجة ومنطق الحكمة، وبين من يسعى إلى فرض إرادته بالقوة العسكرية، ومن يحذر من أن النار إذا اشتعلت لن يسلم منها أحد.

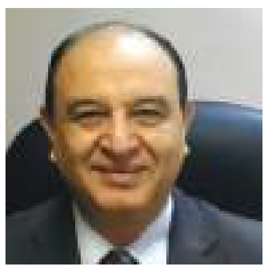

بقلم: د. محمد حسام الدين

أساطير ميتشل بارد: 11 أسطورة هى عين الحقيقة!

ميتشل بارد من عتاة الصهاينة المعاصرين وله موقع يبث منه سمومه الصهيونية، ولذلك تعقبت هذا الموقع الذى بسط فيه الأمور فيقدم ما يسميه الأسطورة htyM ثم يقدم الحقيقة مقابل هذه الأسطورة كما يراها، والحقيقة أن ما يسميه الأساطير هى الحقائق وما يسميه الحقائق هى الأساطير، ولذلك رأيت أن أنبه الرأى العام العربى إلى هذه الألاعيب الصهيونية التى أحدثت بلا شك لغطا شديدا بين العرب من ضعاف العقول والإيمان، لأن إسرائيل مشروع استعمارى إحلالى استيطانى، وأن هذا المشروع كما بدأ سوف يزول ولكنه يتطلب أوراق القوة فى المشروع العربى المقابلة لأوراق القوة الصهيونية، وهذا موضوع مقال آخر فى هذه السلسلة.

ونعرض للأساطير والحقائق كما سجلها ميتشل بارد فى موقعه الذى تنشره المواقع وأجهزة الأعلام والصهيونية، وأخشى أن تنشر أجهزة الإعلام العربية فى بعض الدول هذه الخرافات الصهيونية وقد أخترت عشرين من أساطيره وحقائقه لكى نعرضها على القارئ العربى بوضوح.

- أولا: الاسطورة الأولى أن إسرائيل هى المسؤولة عن حصار غزة وهى الحقيقة وغير ذلك هى الاساطير، يقول ميتشل بارد أن إسرائيل ومصر تجاوران غزة، ويتهم مصر بأنها هى التى تفرض الحصار على غزة.

ويلحق بهذه الاسطورة أن إسرائيل لا تقدم لغزة الرعاية الصحية، يريد أن يقول أن إسرائيل تغرق غزة بالمظلة السحرية، وواضح ما فى هذا الاقتراح من جرأة على الحق، فسبب تعاسة غزة وفقا للتقاير الدولية هى سلطة الاحتلال التى انسحبت من غزة، ولكنها تحاصرها من جميع الجهات وتوالى الاعتداء عليها، كما أنها تضيق على كافة سكانها وهدفها الاساسى أن يتوصل سكان غزة إلى قناعة لأن احتضانهم للمقاومة هو السبب فى محنتهم، فإذا ارادوا العيش بأمان والازدهار الاقتصادى عليهم أن يتخلصوا من المقاومة وأن إسرائيل ستساعدهم فى ذلك.

الأسطورة الثالثة ينفى أن إسرائيل متهمة دوليا بقتل الصحفيين ويتهم الفلسطينيين بقتلهم لإحراج إسرائيل، وقد أكدت التقارير الدولية أن الصحفية الإسرائيلية المقدوسية شيرين أبو عاقله قد قتلها الجيش الإسرائيلى بالرصاص الحى .

الأسطورة الرابعة هى أن الفلسطينيين يدعون أنهم لا ينتهكون حقوق الإنسان بينهم، وأن السلطة الفلسطينية تدين الإرهاب، والحقيقة هى ان السلطة الفلسطينية كسائر النظم العربية لا تحترم حقوق الإنسان ولكنها تدين الإرهاب مع أن الإرهاب فى بعض أسبابه ناجم عن تجاوز حقوق الإنسان، ولكن هذه رابطة بين المواطن وحكومته فما دخل إسرائيل فى هذا الموضوع، صحيح المقارنة واردة بين إسرائيل والحكومات العربية من حيث أن إسرائيل تحترم حقوق الإنسان وتعتبر أن المقاومة بالاحتلال إرهابا، بينما الحكومات العربية لا تحترم القانون والدستور.

الأسطورة الخامسة ينفى أن يكون اليهود مسؤولين عن النكبة عام ٨٤٩١، وأن يوم النكبة لا علاقة له بالسلام، والحقيقة هى أن العصابات الصهيونية هى التى مارست الإرهاب على أهل فلسطين، وهى التى أضرتهم إلى اللجوء وأن قيام إسرائيل على بيوتهم هو النكبة بالنسبة للفلسطينيين، ولكن هذا اليوم تزعم إسرائيل أنه يوم الاستقلال، وللأسف فإن السفراء العرب فى إسرائيل يحضرون الاحتفال فى هذا اليوم ويقدسون العلم والنشيد الإسرائيلى الذى يتحدث عن إبادة العرب كالفئران، كما أن المسؤولين فى الدول العربية التى اعترفت بإسرائيل يدعون إلى احتفالات السفارات الإسرائيلية فى هذه الدول، ويفعلون ما يفعل زملاؤهم فى إسرائيل .

الأسطورة السادسة هو نفى أن أهل الكتاب كان لهم حماية تحت الحكم الإسلامى، ونفى أن إسرائيل تضطهد المسيحيين، والتاريخ يكذب ما يقول كما أن الحوادث الأخيرة ضد المسيحيين فى فلسطين تقطع بأنه لا يقف على الحقيقة.

الأسطورة السابعة هو نفى أن إسرائيل تدنس المسجد الأقصى وتمنع الفلسطينيين من الصلاة فى رمضان، أما التدنيس فيقوم به المستوطنون، وكذلك منع المصلين عن طريق الشرطة الإسرائيلية فى تقارير المنظمات الدولية.

الأسطورة الثامنة نفى أن واشنطن دائما تدعم إسرائيل فى الأمم المتحدة، وهذا يسهل تكذيبه من خلال عدد مرات استخدام الفيتو الأمريكى وكلها لحماية إسرائيل من النقد.

الأسطورة التاسعة أن إسرائيل طردت مليونا من الفلسطينيين، والحق أن إسرائيل طردت أكثر من ذلك خارج بيوتهم وخارج أرضهم، كما أن إسرائيل اعتقلت نصف الشعب الفلسطينى على الأقل وأساءت معاملتهم فى السجون تنفيذا لبرنامج الابادة الذى تبنته إسرائيل تجاه الفلسطينيين .

الاسطورة العاشرة هى أن إسرائيل لا يجب أن تعاقب مثل روسيا، والواقع أن إسرائيل يجب أن تعاقب أكثر من روسيا وأن الفيتو الأمريكى والأوروبى هو الذى يحمى إسرائيل، وإسرائيل ترتكب الجرائم فى فلسطين وتخالف قرارات الأمم المتحدة، أما روسيا فى أوكرانيا فتسد الثغرة الأمنية النتى يستخدمها الغرب ضد روسيا فى إطار الصراع بين الطرفين لأكثر من قرنين من الزمان .

الاسطورة الحادية عشرة هى نفى أن إسرائيل أنشأت حماس، ومصدر هذا الخبر هو إسرائيل نفسها .

بقلم: السفير د. عبدالله الأشعل

جروب "الواتساب" الذى يدير الموالاة والمعارضة

إبراهيم خالد

فى زمن لم تعد فيه السياسة تُدار من خلف الأبوَاب الخشبية الثقيلة، ولا عبر الهواتف الأرضية وحدها، صار تطبيقٌ صغيرٌ أخضرُ اللون هو غرفة العملياتِ الجديدة. "واتساب"، الذى بدأ وسيلةً بسيطةً لتبادل الرسائل والصور بين الأصدقاء، تحوّل إلى منصة إعلامية وسياسية بامتياز. بيانٌ يُكتب فى دقيقة، وتسريبٌ يُنشر فى أخرى، وتعليماتٌ تصل إلى عشرات الهواتف فى اللحظة نفسها. هكذا تغيّرت قواعد اللعبة.

لم يعد "الجروب" مجرد مساحة للدردشة، بل أصبح - فى بعض النماذج المشوّهة - أداةً لإدارة المشهد بالكامل. جروبٌ يضم مسؤولين فى الموالاة، وبعض وجوه المعارضة الشكلية، وعناصر حزبية، وإعلاميين. جروبٌ واحد، لكن بأدوار متعددة. فى الصباح تُرسل "النقاط الرئيسية" للحديث فى البرامج. فى الظهيرة تصل توجيهات بشأن قضية يجب تضخيمها، وأخرى ينبغى دفنها. وفى المساء يُطلب من هذا أن يهاجم، ومن ذاك أن يرد، بينما الحقيقة غائبة، والمواطن آخرُ من يعلم.

المفارقة أن الموالاة والمعارضة، اللتينِ يُفترضِ أن بينهما مسافةً سياسيةً وفكريةً، تجتمعان فى المساحة نفسها على شاشة هاتف. الخلافات تُضبط بإيقاع الرسائل، وسقف النقد يُحدّد بعبارة مقتضبة: "يراعى عدم تجاوز الخطوط". حتى الغضب يصبح منظمًا، والاعتراض محسوبَ الجرعات. معارضةٌ (شكلية) تؤدى دورها بدقة، وموالاةٌ تعرف متى تُصفّق ومتى تصمت. الكل ينتظر الإشارة.

خطورة هذا النموذج لا تكمن فقط فى مركزية القرار، بل فى إفراغ السياسة من مضمونها. حين تختزل القضايا العامة فى رسائل سريعة، ويتحوّل النقاش إلى "إعادة توجيه" للرسائل، وتصبح المواقف نسخًا متطابقة، فإننا أمام صوت واحد متعدد الوجوه. تعددية شكليةٌ لكن المحتوىَ واحد. صخبٌ على الشاشات، وصمتٌ فى غرف التفكير.

الإعلام بدوره يدخل الجروب، صراحةً أو مواربةً. تُوزّع العناوين المقترحة، وتُحدّد زوايا التناول، ويُعاد تدوير المصطلحات نفسها حتى تفقد الكلمات معناها. يتشابه التحليل، وتتكرر الجمل، كأننا أمام بيانٍ واحد بأصوات مختلفة. وحين يسألُ المشاهد: أين الرأى الآخر؟ تأتيه الإجابة فى صورة مشهد تمثيليّ مُعدّ سلفًا.

لكن السياسةً ليستَ مسرحًا مدرسيًا، وليست مباراةً تُوزّع فيها الأدوار قبل صافرة البداية. السياسة حوارٌ حقيقي، وصراعُ أفكار، ومساءلةٌ علنية. أما إدارتها عبر جروب مغلق، فذلك اختزالٌ مُخلّ بالدولة والمجتمع معًا. لأن من يعتاد تلقى التعليمات عبر رسالة يفقد تدريجيًا شجاعة اتخاذ القرار. ومن يتدرب على المعارضة المنسّقة ينسى كيف يعارض فعلًا.

كشف هذا النوع من الإدارة ليس ترفًا، بل ضرورة. الشفافية تبدأ من الاعتراف بأن توجيه المواقف عبر قنوات خفية يقتل الثقة العامة. ومواجهة الصوت الواحد لا تكون بالصوت العالي، بل بفتح المجال لأصوات حقيقية، مستقلة، لا تنتظر إشعارًا لتتحدث، ولا تخشى حذفها من المجموعة إن تجاوزت السقف.

قد يكون "الواتسابِ" أداةً عظيمةً للتواصل، لكنه ليس بديلًا عن المؤسسات، ولا عن النقاش العام المفتوح. حين تُدار السياسة من شاشة صغيرة، تضيق معها مساحة الوطن. وحين يتحول الجروب إلى حكومة ظل ومعارضة ظل، يصبح الظل هو الأصل، ويغيب الضوء.

المطلوب ببساطة أن نعيد السياسة إلى العلن، وأن نكسر وهم الجروب الذى يدير الجميع. فالدولة لا تُدار برسالة، والمعارضة لا تُختزل فى إشعار، والوطن أكبر من شاشة هاتف.

حق المقاومة

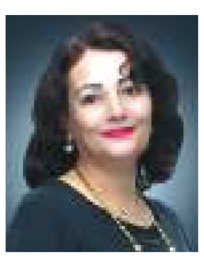

د. أنيسة فخرو
* سفيرة المنظمة الأوروبية للسلام والنوايا الحسنة

لقد قاومت كل شعوب الأرض المُحتل والمستعمر، وكان لها الحق فى الدفاع عن نفسها من أجل الحرية والكرامة.

ولن نأتى بأمثلة من الوطن العربي، بل من أوروبا نفسها.

هولندا أحتلتها فرنسا بقيادة نابليون ٢٠ عاماً منذ ١٧٩٥م، ثم احتلتها ألمانيا خمس سنوات منذ ١٩٤٠، ثم فيما بعد أصبحت هولندا دولة استعمارية.

فرنسا تم احتلالها من قبل ألمانيا فى ١٩٤٠، وكانت المقاومة بقيادة شارل ديغول حتى التحرير، ثم أصبحت دولة استعمارية على لبنان وسوريا والجزائر وكل المغرب العربي، وبعض الدول الأفريقية.

وألمانيا خضعت للاحتلال الأمريكى السوفيتى البريطانى الفرنسى فى عام ١٩٤٥، مما أدى إلى تقسيم ألمانيا وظهور دولتين. ثم أصبحت فيما بعد أيضا دولة استعمارية.

وتعرضت أيرلندا إلى استعمار طويل من قبل إنجلترا لمدة ٨٠٠ عاماً، منذ الغزو النورماندى وأُلحقت إيرلندا رسمياً بمملكة بريطانيا فى ١٨٠١.

وبعد أن تحررت، لم تحتل إيرلندا أية دولة أخرى.

وإيطاليا خضعت للسيطرة الإسبانية والنمساوية منذ ١٥٥٩ حتى ١٧١٣، ثم خضعت تحت سيطرة نابليون منذ ١٧٩٤ حتى ١٨١٤. ثم أصبحت دولة استعمارية احتلت ليبيا وغيرها.

فتح المسلمون أسبانيا فى ٧١١م، واستمرت الحضارة الإسلامية ٨٠٠ سنة، ثم احتلتها فرنسا بقيادة نابليون فى ١٨٠٨، ثم أصبحت إسبانيا دولة استعمارية على دول عدة فى أمريكا اللاتينية.

بل أن حتى بريطانيا تعرضت للغزو الرومانى ٣٤م، ثم الغزو النورماندى عام ١٠٦٦م، ثم أصبحت إمبراطورية تستعمر نصف الكرة الأرضية.

وكذلك بلجيكا التى تم احتلالها من قبل ألمانيا القيصرية وألمانيا النازية قبل استقلالها عام ١٨٣٠، ثم أصبحت دولة استعمارية فى الكونغو.

وخضعت الدنمارك للاحتلال الألمانى فى ١٩٤٠، وكانت جرينلاند مستعمرة دنماركية حتى ١٩٥٣، ثم تحولت إلى جزء من الدنمارك بعد قتل الشعب الأصلى فى جرينلاند.

وحتى أمريكا التى قتلت ٢٠ مليون هندى أحمرّ، واستولت على الأرض تم استعمارها من قبل أسبانيا فى القرن ١٥م، ثم من قبل بريطانيا التى أسست ١٣ مستعمرة فى شرق أمريكا الشمالية، ثم استعمرتها فرنسا.

وكندا تم احتلالها أيضاً من قبل فرنسا. وحتى البرتغال تعرضت للاحتلال الفرنسى عام ١٨٠٧، بقيادة نابليون، ثم أصبحت دولة استعمارية احتلت الكثير من الدول.

وكل شعوب تلك الدول الأوروبية المُحتلة قاومت المحتل، حتى الاستقلال، ولم يلم أحداً المقاومة فيها لطرد المستعمر، سوى المستعمر نفسه، لأن المقاومة حق طبيعى مُطلق.

الكيان الوحيد الذى لم يتم استعماره أو احتلاله، هو الكيان الصهيوني، لأنه بطبيعته وُجد وخُلق كمُحتل، فلماذا اليوم يقع اللوم على الضحية فى فلسطين؟ لماذا تتعرض المقاومة الفلسطينية اليوم لكل هذا الإضطهاد والقمع؟ فقط لأنها تقاوم وتقاتل باسم الشعب الفلسطيني، من أجل الحرية والكرامة والحق فى الحياة؟

يحجب التركيز على الجانب المتعلق بالانحرافات الجنسية لشخصيات بارزة فى النخب الحاكمة فى كثير من بلدان العالم، وخصوصا التركيز على إقامة علاقات جنسية مع قاصرات، فى ملفات التحقيق فى قضية الملياردير الأمريكى الراحل جيفرى إبستين، والتى يزيد عددها على ثلاثة ملايين وثيقة، جوانب أهم فى القضية تكشفها المراسلات المتبادلة بين إبستين هذه الشخصيات، خصوصًا فى ضوء ارتباطه بأجهزة مخابرات فى الولايات المتحدة وإسرائيل وفى دول أخرى. فمن الملاحظ أن جانبًا كبيرًا من اهتمام وسائل الإعلام العربية والنخب المثقفة فى العالم العربى انصرف إلى البعد المتعلق بالفضائح الجنسية، استنادًا إلى ما تنشره وسائل الإعلام الغربية. ومن الملاحظ أن وسائل الإعلام العربية تعرض هذه التقارير بطريقة مبسطة ومخلة، لغرض الاستهلاك المحلى وتعويض القراء والمتابعين عن غياب أى تناول نقدى للقضايا الرئيسية التى قد تهم القراء العرب. نتيجة لذلك يصبح الكثير من الوقائع التافهة الهامشية، والتى قد تأخذ حيزًا محدودًا فى وسائل الإعلام الغربية، قضايا رئيسية لشغل الرأى العام العربي، فتُفرد لها المساحات، وتشتعل بها مواقع التواصل الاجتماعي.

نحن وملفات جيفرى إبستين السرية

استغلال الجنس والتركيز على الميول الجنسية للسياسيين والمسؤولين أحد الأدوات الأساسية التى تعتمد عليها أجهزة المخابرات لابتزاز السياسيين

من ملفات جيفري ابستين وتظهر في صورتي اقصى اليمين هند العويس وسلطان بن سليم وفي اقصى اليمين كلينتون وترامب

قليل من وسائل الإعلام العربية والتعليقات التفت إلى دلالة نشر وزارة العدل الأمريكية لملفات القضية أواخر يناير الماضي، تنفيذا لقانون "شفافية ملفات إبستين" الذى أصدره الكونجرس بغرفتيه، بأغلبية ساحقة فى نوفمبر ٢٠٢٥، ووقع عليه الرئيس دونالد ترامب، والذى يلزم وزارة العدل الأمريكية بنشر جميع ملفاتها المتعلقة بالتحقيقات الجنائية الخاصة بقضية إبستين قبل ١٩ ديسمبر الماضي، لاسيما تلك الدلالات ذات الصلة بمبادئ الشفافية وحرية تداول المعلومات، الذى نكافح منذ عقود لاستصدار قانون ينظمها، ولم تهتم التغطية الإعلامية أيضًا بصِلة الأمرين، بمحاربة الفساد وفضحه، ولا بمبدأ سيادة القانون، الذى يعنى أن لا أحد فوق المحاسبة على ما يُرتكب من انحرافات ومخالفات وانتهاكات لحقوق الآخرين، مهما تكن سلطته أو نفوذه. ولم يركز التناول الإعلامى لدينا على إبراز أهمية الإعلام، باعتباره أحد الحقوق الأساسية للمواطنين الملزم للحكومات، ولا بدوره فى فضح المفسدين وتقديمهم للعدالة، لاسيما فى النظم الديمقراطية، التى أدركت منذ وقت طويل أن الحريات العامة، وفى مقدمتها حرية تداول المعلومات وحرية الرأى والتعبير وحرية الإعلام هى الجبهة الأولى فى الحرب على الفساد وتحقيق العدالة وسيادة القانون.

ملامح القضية

هناك ثلاثة ملامح أساسية لتناول وسائل الإعلام العربية لقضية ابستين. الملمح الأول هو الاهتمام المفرط بالجانب المتعلق بالانحرافات الجنسية للزعماء فى المجتمعات الغربية، ليس فقط للاعتبارات المتعلقة بتلبية شغف لدى القراء وملء الفراغ الإعلامى بسبب القيود المفروضة على وسائل الإعلام والتى تؤثر على قدرتها على تناول القضايا المحلية، وإنما أيضا لترسيخ فكرة الانحلال الأخلاقى للمجتمعات الغربية. لقد ترتب على القيود المفروضة على حرية تداول المعلومات وحرية الإعلام تحويل معظم المنصات الإعلامية العربية إلى ما يشبه المراكز الإعلامية الرسمية ومنصات دعائية للترويج للسياسات العامة وتراجع مساحة التناول النقدى لتلك السياسات، وتعويض ذلك النقص بقصص تتناول بقدر من الإثارة موضوعات قد تنتهك حرمة الحياة الخاصة للمشاهير والزعماء، لاسيما الأجانب منهم، وإعادة نشر مثل هذه القصص فى وسائل الإعلام العربية، غالبًا لصرف انتباه الرأى العام عن قضايا ملحة وحيوية.

الملمح الثاني، هو الميل إلى سرد الوقائع المرتبطة بهذه القضية، والتى ترد غالبا من وسائل الإعلام الغربية فى سياق "نظرية المؤامرة"، التى تلقى رواجًا كبيرًا لدى وسائل الإعلام العربية وأيضًا لدى قطاعات واسعة من الجمهور العربي، الأمر الذى يرسخ هذه النظرية فى أسلوب التفكير فى العالم العربي، لأنها تسد الفجوات المعلوماتية فى القصص المنشورة فى وسائل الإعلام الغربية، من خلال تقديم تفسيرات تآمرية للوقائع، وتصور أن هناك "مؤامرة" ما، "صهيونية وأمريكية" فى الغالب على بلدان العالم، لاسيما البلدان العربية والإسلامية المستهدفة، وتضاف شبكة إبستين إلى شبكات ودوائر أخرى يعتقد أنصار تلك النظرية أنها تدير العالم.

ويدعم هذه النظرية بالطبع الكثير من الوقائع الكبيرة والصغيرة. هذه النظرية لها رواج أيضًا لدى الجمهور الواسع فى البلدان الغربية، خصوصًا أن اعتبارات الأمن القومى واعتبارات أخرى تستدعى حجب وثائق أخرى مرتبطة بالقضية. المشكلة الأساسية، التى تطرحها نظريات المؤامرة هى أنها تضعف العقلية التحليلية والنقدية وتسد عدم القدرة على التوصل إلى تفسير منطقى لنظرية المؤامرة، بل ربط بعض المعلقين توقيت نشر هذه الوثائق باستعدادات الإدارة الأمريكية لتوجيه ضربة عسكرية لإيران، ومحاولة لردع ترامب عن الإقدام على هذه الخطوة، دون نظر إلى حقيقة الآليات التشريعية والدستورية التى أدت إلى ذلك والتى تعود إلى عام ٢٠١٩. وتخدم نظرية المؤامرة تلك الدوائر المعادية للديمقراطية والحريات ومن بينها حرية الإعلام وحرية تداول المعلومات.

الملمح الثالث، يرتبط بترسيخ صورة البلدان الغربية والنخب الحاكمة، وإظهار مدى تفسخ هذه النخب وانحلالها الأخلاقى رغم التقدم العلمى والتكنولوجى للغرب الذى ينتج ما نستهلكه من منتجات مادية ومعارف، خصوصًا فى ضوء التركيز على الانحرافات الجنسية واستبعادنا قيما كالصدق واحترام الحريات الفردية والعامة والعدل والنزاهة والانصاف من منظومة القيم، مع الإصرار على مواصلة الكذب على الذات وعلى الأخرين، وإهدار قيم الحرية والعدل والشفافية. ويرتبط هذا الترسيخ بفكرة أعمق متعلقة بالتشكيك فى الديمقراطية الغربية، والتركيز على فشلها بما يعزز الطابع الاستبدادى وأسلوب الحكم المتمركز حول رأس السلطة فى البلدان العربية، متجاهلين أن الإنكار والتعتيم لا يعنى عدم وجود ممارسات فاسدة، وأن مثل هذه الأجواء توفر ملاذا آمنا للفاسدين، وترسيخ قاعدة "من أمن العقاب أساء الأدب".

الفساد ومحاربته بين ثقافتين

على الرغم من وفاة إبستين فى زنزانة فى نيويورك فى العاشر من أغسطس ٢٠١٩، حيث كان ينتظر محاكمته فى اتهامات الاتجار الجنسي، بعد أن رفضت المحكمة الإفراج عنه بكفالة، إلا أن وفاته، التى يشوبها كثير من علامات الاستفهام، لم تغلق ملف القضية، ولم تسقط الاتهامات التى وجهت إليه، خصوصًا أنه كان ُمدرجًا كمجرم جنسى لعشر سنوات منذ إدانته بتهمة استدراج قاصر لممارسة الدعارة، ووُجهت إليه تهمة إدارة "شبكة واسعة" تستغل قاصرات لأغراض تتصل بالاتجار بالقاصرات واستغلالهن جنسيا. والأرجح أن الملف سيظل مفتوحا وسيطال شخصيات بارزة تورطت معه فى هذه الجرائم الجنسية وجرائم تنتهك القانون الأمريكي، ومنها أفعال وممارسات تتنافى مع المبادئ العامة للأخلاق والقيم فى مختلف المجتمعات وعبر الثقافات المختلفة والمتباينة. الأمر الذى يعطى لهذه القضية بعدًا خاصًا هو أن أى شخص يرد اسمه فى هذه الملفات يكون عرضة لتلويث سمعته وللتشهير به، بغض النظر عن الظروف والملابسات التى ورد الاسم فى سياقها، خصوصًا أن إبستين كان مرتبطا بشبكة كبيرة من المؤسسات ومراكز التفكير والأبحاث التى أسستها مجموعة روكفلر الأمريكية التى كان لديها اهتمام كبير بالشؤون الدولية ولديها الكثير من الارتباطات والعلاقات بكثير من الشخصيات السياسية والفكرية فى إطار نشاطها ضمن ما يعرف باللجنة الثلاثية التى كانت تركز على توطيد علاقات واشنطن بأوروبا الغربية وباليابان، فى سياق سياستها الرامية إلى تعزيز التحالف الدولى فى مواجهة خصومها.

من الوارد أن تظهر أسماء دبلوماسيين وسياسيين وأكاديميين وباحثين وإعلاميين وصحفيين ورجال أعمال وغيرهم من المنتمين إلى النخب فى البلدان المختلفة فى أنحاء العالم فى رسائل متبادلة بين إبستين ومساعديه فى سياق الترتيب لمؤتمرات وحلقات نقاش وغيرها من أنشطة نظمتها واحدة من المؤسسات المرتبطة به، ولا يعنى ظهور شخصية ما أو حتى ذهابه إلى المنتجع الخاص به أن تكون تلك الشخصية فاسدة أو متورطة فى أى من الانحرافات الأخلاقية، ولا ينبغى استغلال ذلك للتشهير بهذه الشخصية أو تلك أو استنتاج وجود علاقات خفية لهذه الشخصيات معه، ولا يجوز استنتاج طلب شخص ما دعمه أو دعم أصدقائه فى شبكة نفوذه الواسعة، ولا بد من التدقيق والتمحيص والمراجعة قبل استغلال ظهور اسم هذه الشخصية أو تلك فى الملفات من أجل التشهير بها. وسارع كثير من الشخصيات التى ذكرت فى تلك الملفات إلى إصدار بيانات تنفى أو توضح ملابسات ظهور اسمه فى أى من هذه الملفات.

تداخل شبكات الفساد وشغل المناصب

يتصل البُعد المتعلق بالفساد الذى تكشفه هذه الملفات بالدور الذى تلعبه شبكات النفوذ غير الرسمية فى التأثير على قرارات ومواقف الحكومات والدول. ويشير هذا البعد إلى جانبين أساسيين: الأول متعلق بذلك النمط المتوسع من تضارب المصالح الناجم عن ارتباط السياسة بعالم المال والأعمال، مع الصعود السياسى لرجال الأعمال فى كثير من المجتمعات الغربية، وما يتضمنه ذلك من بروز أنماط من حكم القلة التى تسعى للالتفاف على القوانين المقيدة لنشاط رجال الأعمال ومصالحهم والتى قد تفتح الطريق لما يعرف بـ"حكم اللصوص" kleptocracy، خصوصًا فى حالة حدوث تداخل بين شبكات الفساد والجريمة المنظمة وبين شغل المناصب السياسية، سواء عن طريق الانتخابات أو بالتعيين، علاوة على بروز أشكال جديدة ومستحدثة للنفوذ الواسع الذى تتمتع به شبكات الجريمة المنظمة المماثلة للمافيا فى بلدان كثيرة. وقد تكون صداقة التى ربطت بين إبستين وبين السياسى البريطانى بيتر ماندلسون، مثالاً لذلك النمط الناشئ لاستغلال النفوذ وتضارب المصالح، إلا أن الكشف عن القضية أدى إلى خسارة ماندلسون لمنصبه كسفير للمملكة المتحدة لدى واشنطن فى عام ٢٠٢٥، وأيضًا فى حزب العمال البريطاني، خصوصًا فى ظل وجود وشبهات تمس سلوكه وفى أنه أطلع إبستين على معلومات حساسة تمس خططا مالية واقتصادية بريطانية وأوروبية عندما كان الأول وزيراً للتجارة فى بريطانيا المتحدة عام ٢٠٠٩.

الابتزاز والفساد الأخلاقى والسيطرة

يُعد استغلال الجنس والتركيز على الميول الجنسية للسياسيين والمسؤولين أحد الأدوات الأساسية التى تعتمد عليها أجهزة المخابرات لابتزاز السياسيين والتأثير فى مواقفهم وقراراتهم، خصوصًا فى حالة السلوك الجنسى المشين وفق القوانين والأعراف فى هذا المجتمع أو ذاك. وهذه أيضًا نقطة تتعلق باختلاف القيم والمعايير عبر الثقافات، فما قد تعتبره المجتمعات الغربية جريمة جنسية قد يكون مقبولاً فى مجتمعات أخرى أو لدى قطاعات نافذة فى المجتمعات الغربية، على النحو الذى تكشفه معظم الوقائع المرتبطة بقضية إبستين والتى تشير إلى ولع الدائرة القريبة من أصدقائه، ومن بينهم الرئيس الأمريكى ترامب بالقاصرات، إضافة إلى التهمة الأساسية التى قادت إبستين إلى السجن، وهى تهمة إدارة شبكة للاتجار بالقاصرات. إن جانبًا كبيرا من الانشغال فى المجتمع الأمريكى والنخبة الأمريكية المثقفة يهتم بشكل أساسى بالأثر النفسى والإيذاء البدنى الذى تعرض له ضحايا هذه الممارسات وعائلاتهم، فتركيز وسائل الإعلام الغربية وكثير من الحركات التى نشأت للدفاع عن الضحايا وضمان حقوقهم لم تتعامل مع هذه القضية بغرض التشهير وإنما من أجل ردع شخصيات مماثلة قد تستغل سلطتها ونفوذها لإجبار من يخضعون لنفوذهم أو للتغرير بهم.

هنا تبرز ميزة أخرى لحرية الإعلام، أكدتها كثير من الوقائع فى التاريخ الأمريكى والتى أدت إلى إصلاحات تشريعية وسياسية لإخضاع أجهزة الأمن القومى الأمريكى إلى رقابة مؤسسية وتشريعية وشعبية، عبر الصحافة والإعلام، والتى تحد من إساءة استغلال النفوذ والصلاحيات التى تمليها اعتبارات الأمن القومى والطابع السرى لعمل هذه الأجهزة. ويلاحظ أن كثيرًا من الأفلام التى انتجتها السينما الأمريكية والتى ركزت على خطورة الصلاحيات الواسعة التى تتمتع بها هذه الأجهزة على أمن المواطنين وعلى الأمن القومى ذاته، تنبه المجتمع إلى احتمال ظهور شخص يسيء استخدام هذه الصلاحيات واستخدام سلطته ونفوذه لتحقيق مصالح شخصية وخاصة. إن وجود شخصيات مثل إبستين، هو أحد النتائج المترتبة على القيود القانونية المتزايدة على عمل أجهزة المخابرات فى المجتمعات الغربية، إذ تلجأ هذه الأجهزة إلى شبكات غير رسمية تتداخل فيها مع شبكات إجرامية وفاسدة لتنفيذ عمليات لا تستطيع تنفيذها بشكل رسمي، وغالبا ما تستفيد هذه الأجهزة من الدول التى تعانى من ضعف فى سيادة القانون وتعتمد أساليب الحكم فيها على ترتيبات وشبكات عائلية وغير مؤسسية، وهو نمط فى الحكم يزحف فى عدد من النظم الديمقراطية والمؤسسية الراسخة على النحو الذى تظهره عدد من الإدارات الأمريكية فى العقود القليلة الماضية ويعد ترامب نموذجًا فجًا لمثل هذا التحول الذى قد يفتح الباب لممارسات فاسدة تحول الحكم فى أكبر دولة فى العالم إلى نمط شبيه بأنماط الحكم فى كثير من بلدان العالم الثالث الفاشلة.

ولا غرابة فى عداء مثل هذه التيارات السياسية الشعبوية والفاشية فى الولايات المتحدة وفى عدد من بلدان أوروبا الغربية للمنظمات الدولية العالمية والإقليمية، مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والتى تؤسس لمعايير فى الحكم والإدارة وممارسة السلطة تستند إلى مبادئ القانون وإلى المعايير الأخلاقية. وربما تكون قضية إبستين والمعركة التى فجرتها فى الولايات المتحدة وفى المجتمعات الغربية الأخرى، جرس إنذار لخطورة مثل هذه التيارات على أمن الأفراد ومستقبلهم، ومن الممكن أيضًا أن تكون حافزا يدفع الكثير من الحكومات والأنظمة السياسية إلى الانتباه إلى أهمية وضرورة الالتزام بحكم القانون وقيم مثل الحرية والشفافية والعدالة.

بين ثقافة الاستهلاك و"نظرية المؤامرة" وادعاء التفوق الأخلاقي

أى شخص يرد اسمه فى هذه الملفات يكون عرضة لتلويث سمعته وللتشهير به، بغض النظر عن الظروف والملابسات التى ورد الاسم فى سياقها

تلجأ أجهزة المخابرات إلى شبكات غير رسمية تتداخل فيها مع شبكات إجرامية وفاسدة لتنفيذ عمليات لا تستطيع تنفيذها بشكل رسمي

إيلون ماسك وبيل غيتس وإيهود باراك وسارة فيرغسون وحتي نعوم تشومسكي لم ينج من آثار الفضائح

بقلم: أشرف راضي

المشهد
العدد 346 – السنة الرابعة عشرة - الأحد 15 فبراير 2026 م - 27 شعبان 1447 هـ

قالت العرب

بكَ أستجيرُ من الرّدَى ، وأعوذُ من سطَوَاتِ باسكْ
وحيَاةِ رأسِكَ لا أعُودُ لمثلِها، وحياةِ رَاسِكْ
مَنْ ذا يكونُ أبا نُوَا سِكَ إنْ قتلتَ أبا نواسِكْ ؟!

مؤشر عام للأجور كأداة لصياغة السياسات الاقتصادية

رفع الحد الأدنى عدة مرات لا يعكس تحسنا موازيا فى القدرة الشرائية فتكلفة الحياة تتحرك بوتيرة أسرع

مع إعلان الحكومة على لسان رئيس الوزراء عن حزمة اجتماعية تضمنت فيما تضمنت وعودا بزيادات فى الحد الأدنى للأجور ودعما مباشرا للأسر لمواجهة ارتفاع تكاليف المعيشة، وهو تحرك مهم يهدف إلى تخفيف الضغوط الاقتصادية عن ملايين المواطنين، إلا أن هذه الإجراءات رغم أهميتها لا تعالج المشكلة الأساسية المتمثلة فى الفجوة المستمرة بين الأجر الإسمى وما يحتاجه العامل فعلياً لتغطية نفقات حياته اليومية، فالتحدى الحقيقى يكمن فى غياب منهجية مستمرة تربط الزيادات بتغيرات تكلفة المعيشة.

منذ عام ٢٠٢٢ دخل الاقتصاد المصرى مرحلة من الضغوط التضخمية المتتالية ارتبطت بتغيرات سعر الصرف وارتفاع تكاليف الاستيراد والطاقة، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على أسعار السلع والخدمات الأساسية، وتشير بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء إلى أن معدل التضخم السنوى فى المدن سجل مستويات قياسية خلال ٢٠٢٣، قبل أن يبدأ فى التراجع النسبى لكنه ظل فى نطاق مرتفع مقارنة بمتوسطات ما قبل ٢٠٢٠ وهو ما يعنى عمليا أن اى زيادة فى الأجور كان عليها أن تعوض تراكم سعرى كبير وليس مجرد زيادة سنوية عادية، فى المقابل شهدت سياسات الأجور تحركات متلاحقة تمثلت فى رفع الحد الأدنى عدة مرات، وصولا إلى مستوى ٧٠٠٠ آلاف جنيه، وهو تطور مهم من حيث القيمة الإسمية، لكنه لا يعكس بالضرورة تحسنا موازيا فى القدرة الشرائية إذ أن الزيادة فى الرقم لا تعنى شيئا إذا كانت تكلفة الحياة تتحرك بوتيرة أسرع.

تظهر أهمية هذه المفارقة عند النظر إلى هيكل إنفاق الأسرة المصرية، حيث تشير الإحصائيات الرسمية إلى أن الغذاء والسكن والمرافق تستحوذ على النسبة الأكبر من ميزانية الأسرة، خاصة فى الشرائح منخفضة ومتوسطة الدخل، وهذه البنود تحديداً كانت الأكثر تأثرا بموجات التضخم، وهو ما يفسر شعور قطاعات واسعة بأن دخولها الفعلية تتراجع حتى فى ظل الزيادات الإسمية، ولا يقتصر أثر تآكل الأجور الحقيقية على المستوى الفردي، بل يمتد إلى الاقتصاد ككل، فضعف القدرة الشرائية ينعكس فى تراجع الطلب المحلى وهو أحد المحركات الرئيسية للنشاط الاقتصادي، كما يدفع الأسر إلى تقليص الإنفاق على التعليم والصحة أو اللجوء إلى الاستدانة، وهو ما يعمق الهشاشة الاجتماعية على المدى المتوسط.

مدخل أكثر دقة

فى هذا السياق يصبح النقاش حول الأجر الحقيقى وليس الأجر الإسمى هو المدخل الأكثر دقة لفهم تحولات سوق العمل، فالأجر الحقيقى هو ما يتبقى من قيمة الراتب بعد خصم أثر التضخم، أى أنه يقيس ما يستطيع الدخل شراءه فعلا من سلع وخدمات، وهو المؤشر الذى يعكس مستوى المعيشة بصورة أقرب إلى الواقع، حيث تشير المقارنات بين تطور الأجور الإسمية ومعدلات التضخم خلال السنوات الأخيرة إلى أن الفجوة بينهما ظلت قائمة بدرجات متفاوتة، وهو ما يعنى أن جزءاً من الزيادات التى حصل عليها العمال كان موجها فى الأساس لتعويض ارتفاع الأسعار، وليس لتحسين مستوى المعيشة وهو فارق جوهرى يفسر لماذا لا يشعر كثيرون بأن دخولهم تحسنت رغم ارتفاعها رقميا.

إن فهم هذه الديناميكية يمثل الخطوة الأولى نحو صياغة سياسات أكثر فعالية فى مجال الأجور، إذ لا يكفى رفع الحد الأدنى بصورة دورية دون وجود أداة قياس تربطه بتكاليف الحياة الفعلية وهو ما يفتح الباب للنقاش حول الحاجة إلى منهجية واضحة لاحتساب الأجر العادل تضمن الحفاظ على قيمته، مع مرور الوقت بهذا المعنى لا يدور النقاش حول رقم بعينه بقدرما يتعلق بكيفية بناء نظام يربط الأجور بالواقع الاقتصادى والاجتماعى بصورة مستمرة وهو ما يمثل التحول الضرورى إذا أريد لسياسات الأجور أن تقوم بدورها فى تحقيق الاستقرار وتحسين مستوى المعيشة.

قراءة فى فجوة القوة الشرائية

فى طبيعة النقاش حول الأجور فإن قراءة الإحصائيات الرسمية تكشف بصورة أوضح حجم الفجوة التى تشكلت خلال السنوات الأخيرة بين نمو الأجور الإسمية وارتفاع تكاليف المعيشة، فهذه الفترة تمثل واحدة من أكثر المراحل التى تعرضت فيها القوة الشرائية لضغط متواصل نتيجة تزامن عدة عوامل اقتصادية فى وقت واحد، حيث تشير بيانات التضخم الصادرة عن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء إلى أن موجة الارتفاع الكبيرة فى الأسعار بدأت تتبلور بوضوح منذ النصف الثانى من ٢٠٢٢ مدفوعة بارتفاع أسعار الغذاء والطاقة، وتغيرات سعر الصرف ثم بلغت ذروتها خلال ٢٠٢٣ حين سجل معدل التضخم السنوى مستويات غير مسبوقة منذ سنوات طويلة قبل أن يبدأ مسارا هبوطيا تدريجيا خلال ٢٠٢٤ و٢٠٢٥ لكنه ظل فى نطاق مرتفع مقارنة بالمعدلات التاريخية، فى المقابل تحركت الأجور الإسمية بوتيرة أقل انتظاما، إذ شهد الحد الأدنى عدة زيادات متتابعة كان آخرها الوصول إلى مستوى ٧٠٠٠ آلاف جنيه، وهى زيادة تعكس محاولة لمواكبة الضغوط المعيشية، لكنها فى الواقع جاءت بعد فترة من التآكل فى القوة الشرائية ما جعل جزءا كبيرا منها يذهب لتعويض خسائر سابقة، عند المقارنة بين المسارين يتضح أن التضخم التراكمى منذ ٢٠٢٢ تجاوز بكثير متوسط الزيادة فى الأجور خلال الفترة نفسها، وهو ما يعنى أن الأجر الحقيقى تعرض لانخفاض ملحوظ قبل أن يبدأ فى الاستقرار النسبى مع تباطؤ التضخم، وهو نمط يتكرر عادة فى الاقتصادات التى تشهد صدمات سعرية حادة حيث تتحرك الأجور دائما بعد الأسعار وليس معها.

أجور تتآكل قياسا بتكاليف الحياة

وتظهر دلالة هذه الفجوة كأثر ملموس على حياة الأسرة، فإذا افترضنا أسرة عاملة تعتمد على دخل قريب من الحد الأدنى فإن الجزء الأكبر من دخلها يوجه إلى الغذاء والسكن والمواصلات، وهى بنود شهدت زيادات أعلى من المتوسط العام للتضخم، وهو ما يعنى أن تراجع القوة الشرائية الفعلى لهذه الأسرة كان أكبر من الرقم الذى تعكسه المؤشرات العامة، ومن منظور اقتصادى كلى فإن استمرار هذه الفجوة لفترة طويلة يؤدى إلى إعادة توزيع غير مباشر للدخل من العمل إلى عناصر التكلفة الأخرى، وهو ما يضعف حصة الأجور فى الناتج ويؤثر على مستويات الاستهلاك المحلى ويحد من قدرة الاقتصاد على تحقيق نمو مدفوع بالطلب الداخلي.

كما تكشف أيضا القراءة للإحصائيات أن توقيت زيادات الأجور يمثل عاملا حاسما فى أثرها الفعلى إذ أن الزيادة التى تأتى بعد موجة تضخم كبيرة تكون فى جوهرها تعويض جزئى عن خسارة سابقة، بينما الزيادة التى ترتبط بمؤشر دورى يمكن أن تحافظ على الاستقرار النسبى للقوة الشرائية وتقلل من حدة التقلبات، وتقود هذه الملاحظة إلى نتيجة أساسية مفادها أن التحدى الحقيقى لا يتمثل فقط فى مستوى الأجور، بل فى الفجوة الزمنية بين تحرك الأسعار وتحرك الرواتب، وهى الفجوة التى تجعل العامل يتحمل عبء التكيف مع التضخم قبل أن تصل إليه آثار أى زيادة، ومن هنا يصبح من الضرورى الانتقال من سياسة رد الفعل إلى سياسة استباقية تعتمد على متابعة تطور تكلفة المعيشة بصورة منتظمة، بحيث يتم تعديل الأجور فى التوقيت الذى يمنع تآكلها بدلا من محاولة تعويض التآكل بعد وقوعه.

ضبط العلاقة بين الدخل وتكاليف الحياة

بعد قراءة مسار الأجور والتضخم خلال السنوات الأخيرة يصبح السؤال المنطقى هو كيف يمكن منع تكرار فجوة القوة الشرائية مستقبلا، وهنا يظهر مفهوم مؤشر الأجور باعتباره ليس مجرد فكرة نظرية بل أداة عملية تهدف إلى ربط تطور الأجور بتطور تكلفة المعيشة بصورة منتظمة، ويقوم جوهر الفكرة على الانتقال من تحديد الأجور عبر قرارات دورية منفصلة عن الواقع إلى نظام قياس مستمر يعتمد على بيانات فعلية عن أسعار السلع والخدمات التى تشكل النفقات الأساسية للأسر، وبهذا المعنى يصبح الأجر مرتبطا مباشرة بمستوى الحياة لا بقيمته الإسمية.

عمليا يمكن تصور المؤشر من خلال تحديد سلة معيشة معيارية تمثل الحد الأدنى المقبول للحياة الكريمة لأسرة عاملة فى المدن المصرية، وتشمل هذه السلة الغذاء والسكن والمرافق والطاقة والمواصلات والرعاية الصحية والتعليم والملبس والاتصالات، ويتم تحديث تكلفة هذه السلة بشكل دورى استنادا إلى بيانات رسمية لأسعار المستهلك، ومن خلال متابعة التغير فى تكلفة هذه السلة يمكن حساب معدل التغير فى تكلفة المعيشة الفعلية، ومن ثم استخدامه كمرجع عند مراجعة الأجور بحيث تعكس الزيادات التطور الحقيقى فى الأسعار وليس المتوسط العام فقط، وهو ما يجعل الأجر الحقيقى مستقرا نسبيا مع مرور الوقت، وترجع أهمية هذا النهج أنه لا يقتصر على طبقة العمال، بل تمتد إلى أصحاب الأعمال وصناع السياسات إذ يوفر المؤشر رؤية أوضح لاتجاهات التكاليف والدخول، ويساعد على التخطيط الاقتصادى بصورة أكثر دقة، كما يقلل من حالة عدم اليقين المرتبطة بزيادات مفاجئة أو تفاوضات غير مبنية على بيانات مشتركة، كما أن وجود مؤشر دورى يتيح التعامل مع التحولات الاقتصادية بصورة تدريجية، فبدلا من الانتظار حتى تتراكم الضغوط المعيشية ثم اتخاذ قرارات كبيرة يمكن إجراء تعديلات أصغر لكن منتظمة تحافظ على التوازن وتقلل من الصدمات فى سوق العمل، ومن زاوية اجتماعية يسهم المؤشر فى تعزيز الشعور بالعدالة إذ يصبح تحديد الأجور عملية شفافة يمكن فهمها ومتابعتها، وهو ما يعزز الثقة بين الأطراف المختلفة ويحد من الشعور بأن الأجور تحدد بمعزل عن الواقع، وتكشف التجارب الدولية أن ربط الأجور بمؤشرات تكلفة المعيشة لا يؤدى فقط إلى حماية القدرة الشرائية، بل يسهم أيضا فى استقرار التوقعات الاقتصادية، حيث يصبح مسار الأجور أكثر قابلية للتنبؤ، وهو عامل مهم للاستثمار والنمو.

وفى السياق المصرى يكتسب هذا الطرح أهمية خاصة نظرا لتكرار دورات التضخم المرتفع خلال العقد الأخير، وهو ما يجعل وجود أداة قياس تعكس خصوصية هيكل الإنفاق المصرى خطوة ضرورية لضمان أن تكون سياسات الأجور أكثر استجابة للواقع بذلك يمكن وضع الاطار المؤسسى الذى يسمح بتحويل ملف الاجور من قرارات متقطعة الى سياسة مستمرة قائمة على البيانات، وهو التحول الذى يمكن ان يعيد التوازن بين نمو الدخول وتكاليف الحياة.

هذا الفهم يقود مباشرة إلى السؤال التطبيقى الأهم ،وهو كيف يمكن ترجمة هذا المنهج إلى تقدير رقمى للحد الادنى فى ٢٠٢٦ وهو ما سنتناوله فى المقال القادم.

بقلم: حسن البربري

جهاز الإحصاء: معدل البطالة يتراجع إلى ٦,٢٪ خلال الربع الرابع لعام ٢٠٢٥

مقر الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء

أعلن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء نتائج بحث القوى العاملة للربع الرابع (أكتوبر – ديسمبر) لعام ٢٠٢٥، حيث بلغ معدل البطالة ٦,٢٪ من إجمالى قوة العمل بانخفاض ٠,٢٪ عن الربع السابق.

أولا: قوة العمل (وتشمل المشتغلين والمتعطلين):

سجل تقدير حجم قوة العمل ٣٤,٨٢٩ مليون فرد مقابل ٣٤,٧٢٧ مليون فرد خلال الربع السابق بنسبة زيادة مقدارها ٠,٣٪ وقد بلغت قوة العمل فى الحضر ١٥,١٩٣ مليون فرد بينما بلغت فى الريف ١٩,٦٣٦ مليون فرد،أما على مستوى النوع فقد بلغ حجم قوة العمل ٢٦,٩٠٣ مليون فرد للذكور بينما بلغت للإناث ٧,٩٢٦ مليون فرد .

ويرجع ذلك لارتفاع أعداد المشتغلين بمقدار ١٧٩ ألف مشتغل خلال الربع الحالى عن الربع السابق

وانخفاض عدد المتعطلين بمقدار (٧٧) ألف متعطل مما أدى إلى ارتفاع قوة العمل بمقدار ١٠٢ ألف فرد.

ثانيا: المتعطلون:

سجل عدد المتعطلين ٢,١٥٢ مليون متعطل بنسبة ٦,٢٪ من إجمالى قوة العمل (١,٠١٩ مليون ذكور، ١,١٣٣ مليون إناث) مقابل ٢,٢٢٩ مليون متعطل بالربع السابق بانخفاض قدره (٧٧) ألف متعطل بنسبة ٣,٦٪، وزيادة قدرها (٢٢) ألف متعطل عن الربع المماثل من العام السابق بنسبة ١,٠٪.

• بلغ معدل البطالة بين الذكور ٣,٨ ٪ من إجمالى الذكور فى قوة العمل خلال الربع الحالى بينما كان ٤,٠٪ فى الربع السابق مقابل ٣,٩٪ فى الربع المماثل من العام السابق .

• بلغ معدل البطالة بين الإناث ١٤,٣٪ من إجمالى الإناث فى قوة العمل خلال الربع الحالي، بينما كان ١٥,٠٪ فى الربع السابق مقابل ١٦,٦٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

المتعطلون طبقاً لمحل الإقامة (للحضر والريف):

طابور الباحثين عن وظائف

• بلغ معدل البطالة فى الحضر ٩,٧٪ من إجمالى قوة العمل فى الحضر ، بينما كان ١٠,١٪ فى الربع السابق مقابل ٨,٩٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

• معدل البطالة فى الريف يصل إلى ٣,٤٪ من إجمالى قوة العمل فى الريف ، بينما كان ٣,٦٪ فى الربع السابق مقابل ٤,٥٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

المتعطلون طبقا للحالة التعليمية:

– ٨٢,١٪ نسبة المتعطلين من حملة المؤهلات المتوسطة وفوق المتوسطة والجامعية وما فوقها فى الربع الحالى مقابل ٨٣,١٪ فى الربع السابق من إجمالى المتعطلين وفى الربع الحالى موزعة كالآتي:

– ١٧,٩ ٪ تعليم أقل من المتوسط وما دونه مقابل ١٦,٩ ٪ بالربع السابق و ١٥,٩٪ للربع المماثل من العام السابق.

– ٣٧,١٪ من حملة المؤهلات المتوسطة وفوق المتوسطة مقابل ٣٩,٧٪ بالربع السابق و ٣٩,٢٪ للربع المماثل من العام السابق.

– ٤٥,٠٪ من حملة المؤهلات الجامعية وما فوقها مقابل ٤٣,٤٪ بالربع السابق بينما كان ٤٤,٩٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

ثالثا: المشتغلون:

بلغ عدد المشتغلين ٣٢,٦٧٧ مليون فرد بينما كان ٣٢,٤٩٨ مليون فرد فى الربع السابق بنسبة زياده ٠,٦ ٪ وقد بلغ عدد المشتغلين فى الحضر ١٣,٧١٦ مليون مشتغل بينما بلغ عدد المشتغلين فى الريف ١٨,٩٦١ مليون مشتغل .

المشتغلون طبقاً للحالة العملية

● بلغ عدد المشتغلين بأجر نقدى ٢٢,١١٨ مليون مشتغل (١٨,٠١٣ مليون ذكور، ٤,١٠٥ مليون إناث) بنسبة ٦٧,٧٪ من إجمالى المشتغلين بينما كانت ٦٨,٨٪ فى الربع السابق، مقابل٧١,٠٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

• بلغ عدد المشتغلين أصحاب الأعمال التى يديرونها ويستخدمون آخرين ٢,٠٢٢ مليون مشتغل (١,٩٢٩ مليون مشتغل ذكور، ٩٣ ألف مشتغلة إناث) بنسبة ٦,٢٪ من إجمالى المشتغلين بينما كان ٥,٠٪ فى الربع السابق مقابل ٤,١ ٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

● بلغ عدد المشتغلين ممن يعملون لحسابهم ولا يستخدمون أحدا ٥,٩٣٥ مليون مشتغل (٥,٠٥١ مليون مشتغل ذكور، ٨٨٤ ألف مشتغلة إناث) بنسبة ١٨,١٪ من إجمالى المشتغلين بينما كان ١٩,٢٪ فى الربع السابق مقابل ٢٠,٦٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

● بلغ عدد المشتغلين المساهمين فى أعمال – مشروعات (داخل الأسرة) بدون أجر ٢,٦٠٢ مليون مشتغل (٨٩٢ ألف مشتغل ذكور، ١,٧١٠ مليون مشتغلة إناث) بنسبة ٨ ٪ من إجمالى المشتغلين بينما كان ٧ ٪ فى الربع السابق مقابل ٤,٣ ٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

رابعًا: المساهمة فى النشاط الاقتصادي:

• بلغ معدل المساهمة فى النشاط الاقتصادى ٤٦,٧ ٪ من جملة السكان (١٥ سنة فأكثر) خلال الربع الحالى بينما كان ٤٦,٩ ٪ خلال الربع السابق مقابل ٤٥,٥ ٪ فى الربع المماثل من العام السابق.

• بلغ معدل المساهمة (الذكور ٧٠,٨ ٪ مقابل ٧١,٤ ٪ فى الربع السابق مقابل ٧١,٣ ٪ فى الربع المماثل من العام السابق ، الإناث ٢١,٧ ٪ بينما كان ٢١,٣ ٪ فى الربع السابق وكانت ١٨,٥ ٪ فى الربع المماثل من العام السابق) .

• بلغ معدل المساهمة (فى الحضر ٤٥,٧ ٪ مقابل ٤٧,٥ ٪ فى الريف) بينما كان (فى الحضر ٤٦,١٪ مقابل ٤٧,٥٪ فى الريف) فى الربع السابق (٤٥,٢ ٪ فى الحضر مقابل ٤٥,٨٪) فى الريف فى الربع المماثل من العام السابق .

التوزيع النسبى للمشتغلين

١ – حقق نشاط الزراعة و استغلال الغابات و قطع الشجر وصيد الأسماك أكبر نسبة مشاركة للمشتغلين فى الأنشطة الاقتصادية حيث بلغ عدد المشتغلين فى هذا النشاط ٦,٥٦٢ مليون مشتغل (٤,٨٣٧ مليون ذكور، ١,٧٢٥ مليون إناث) بنسبة ٢٠,١٪ من إجمالى المشتغلين محتلاً المركز الأول ضمن الأنشطة الاقتصادية.

٢ – بلغ عدد المشتغلين فى نشاط تجارة الجملة والتجزئة والإصلاح للمركبات ذات المحركات و الدراجات النارية ٥,٤٥٠ مليون مشتغل (٤,٣٤٦ مليون ذكور، ١,١٠٤ مليون إناث) بنسبة ١٦,٧٪ من اجمالى المشتغلين.

٣ – كما بلغ عدد المشتغلين فى نشاط الصناعات التحويلية ٤,٧١٤ مليون مشتغل (٤,١١٦ مليون ذكور، ٥٩٨ ألف إناث) بنسبة ١٤,٤٪ من إجمالى المشتغلين .

٤ – بلغ عدد المشتغلين فى التشييد والبناء ٣,٤٨٠ مليون مشتغل (٣,٤٥١ مليون ذكور، ٢٩ ألف إناث) بنسبة ١٠,٦ ٪ من إجمالى المشتغلين.

٥ – بلغ عدد المشتغلين فى نشاط النقل والتخزين ٢,٦٨١ مليون مشتغل (٢,٦٥٠ مليون ذكور، ٣١ ألف إناث) بنسبة ٨,٢٪ من إجمالى المشتغلين

تقرير: هيباتيا موسى

البطالة فى مصر تدفع الشباب لأى أعمال

هيكل الرسوم الجمركية يعيد الأمل فى انتعاش اقتصادى

تعديل هيكل الرسوم الجمركية .. هل يفيد المستهدفين به؟

مع إعلان وزارة المالية عن دراسة هيكل جديد للرسوم الجمركية على مستلزمات الإنتاج الصناعي، يعود الأمل فى انتعاش اقتصادى وإعادة تشغيل لقطاع الصناعة المحلية، والذى عانى من التراجع بعد الضربات المتتالية التى تلقاها خلال جائحة كورونا وما أعقبها من أزمات عالمية ومحلية، القضية هذه المرة لا تتعلق بتعديل أرقام فى جداول جمركية فقط، بل بإمكانية حقيقية لإعادة تشغيل مصانع، وفتح خطوط إنتاج متوقفة، وإعادة آلاف العمال إلى مواقعهم، واستطاعة المواطن العادى للشراء دون أن يضطر لتحمل ما لا يمكن تحمله فى سبيل الحصول على أقل متطلباته واحتياجاته الشخصية والحياتية.

على مدار السنوات الماضية، تضررت الصناعة المصرية بشدة من ارتفاع تكلفة المدخلات، فى وقت أصبحت فيه المنافسة مع المستورد شبه مستحيلة، كثير من المصانع خفّضت طاقتها التشغيلية، وأخرى أغلقت أبوابها بالكامل، بينما وجد عمال مهرة أنفسهم خارج سوق العمل، تجاوزت كلفة الإنتاج حدود الاحتمال بسبب الرسوم الجمركية، ربما جاءت كورونا لتكشف هشاشة هذا الوضع، لتزيد الأوضاع سوءا بسبب اضطرابات سلاسل الإمداد وارتفاع أسعار الشحن والخامات عالميًا.

من هنا، فإن تنفيذ هيكل جمركى جديد يخفف العبء عن مستلزمات الإنتاج قد يشكل نقطة بداية حقيقية للتعافي، خفض الرسوم على الخامات والمكونات يعنى تقليل تكلفة المنتج النهائي، ويمنح المصانع فرصة لزيادة الإنتاج، واستعادة قدرتها على التشغيل الكامل أو شبه الكامل، كل زيادة فى الطاقة الإنتاجية تعنى عمالة أكثر، سواء مباشرة داخل المصانع أو غير مباشرة فى قطاعات النقل والخدمات والتوريد، يقدر الخبراء أن أى تحسن جدى فى مناخ التصنيع قد ينعكس سريعًا على سوق العمل، خاصة فى الصناعات كثيفة العمالة مثل الغزل والنسيج، والصناعات الغذائية، والهندسية، ومواد البناء، فهذه القطاعات وحدها قادرة، إذا أتيحت لها الظروف المناسبة، على استيعاب عشرات الآلاف من العمال الذين خرجوا من السوق خلال السنوات الأخيرة، والأهم أن هذه الوظائف ليست مؤقتة، بل مرتبطة بإنتاج فعلى وقيمة مضافة.

هى فرصة رغم اتساعها، تظل مشروطة بحسن التنفيذ، فتعافى الاقتصاد والصناعة خاصة لا يتحقق بقرار واحد، ولا بإعفاءات عشوائية، بل بسياسة متكاملة تضمن أن يذهب خفض الرسوم فعلًا إلى المصنع، لا إلى ربح إضافى يستفيد به المستورد، كما أن ربط التيسيرات الجمركية بمعدلات التشغيل والتصنيع المحلى سيكون عاملا هاما فى تحقيق الهدف الاجتماعى والاقتصادى للقرار، وفى مقدّمته خلق فرص عمل حقيقية ودائمة، إن إعادة تنشيط الصناعة تعنى أكثر من أرقام نمو؛ تعنى استعادة الثقة لعمال تضرروا لسنوات، وإعادة دمج خبرات خرجت من السوق قسرًا، وبناء قاعدة إنتاج قادرة على الصمود أمام الأزمات المستقبلية.

لهذا، فإن الهيكل الجديد للرسوم الجمركية، إذا خرج إلى النور بروح الإصلاح لا المجاملة والمحاباة لأصحاب المصالح، سيكون بداية مسار مختلف، تنتج فيه المصانع بدلاً من الركود، لتنخفض نسب البطالة، ويُستبدل الاستيراد بالإنتاج وربما التصدير، يبقى الحكم فى النهاية مرهونا بالفعل لا بالنية، التجربة وحدها ستثبت إن كنا أمام تحول حقيقى فى فلسفة التعامل مع الصناعة، أم مجرد محاولة أخرى لاحتواء أزمة واسكات أصوات الصارخين، "أفلح إن صدق" .

> **أى تحسن جدى فى مناخ التصنيع قد ينعكس سريعًا على سوق العمل خاصة فى الصناعات كثيفة العمالة**

> **إذا خرج إلى النور بروح الإصلاح لا المجاملة والمحاباة لأصحاب المصالح سيكون بداية مسار مختلف**

بقلم: إنجي مطاوع

من أزمة 2008 المالية إلى أزمات اليوم.. الحساسية تجاه العالم الخارجي تحولت إلى حالة مزمنة

كيف أصبح الاقتصاد المصري أكثر هشاشة أمام العالم؟

لم يحدث تعويم للعملة ولم تقفز الأسعار بهذا الشكل العنيف ولم يدخل الاقتصاد فى أزمة ندرة دولار طويلة والتضخم ظل تحت السيطرة

حين ضربت الأزمة المالية العالمية الاقتصاد العالمى فى ٢٠٠٨، لم يكن الاقتصاد المصرى فى قلب العاصفة، فالتأثيرات كانت بصورة محدودة نسبيا ولم تتحول إلى انهيار واسع فى سعر الصرف أو موجة تضخم تاريخية أو أزمة نقص عملة أجنبية كما حدث لاحقا بعد كوفيد والحرب الروسية الأوكرانية والتوترات الإقليمية فى البحر الأحمر والخليج. هنا السؤال ليس فقط لماذا كانت الصدمة أخف وقتها، بل كيف تحول الاقتصاد المصرى خلال أقل من عقدين إلى اقتصاد شديد الحساسية لأى اضطراب عالمى مهما كان مصدره؟

فى ٢٠٠٨ كان الاقتصاد المصرى يعيش ذروة مرحلة الإصلاحات الاقتصادية التى بدأت منذ حكومة أحمد نظيف فى ٢٠٠٤، وقتها سجل الاقتصاد معدل نمو وصل إلى ٧,٢٪ بحسب بيانات الناتج المحلى الإجمالى وكانت الحكومة تتحدث عن تحرير الاقتصاد وجذب الاستثمار وتحسين بيئة الأعمال وهى نفس المفردات التى تتكرر حاليا، لكن الفارق الحقيقى كان فى طبيعة هيكل الاقتصاد نفسه فالدين الخارجى وقتها كان يدور حول ٣٠ إلى ٣٥ مليار دولار فقط مقارنة بما تجاوز ١٦٠ مليار دولار فى السنوات الأخيرة أما الاحتياطى النقدى كان مستقرا نسبيا، والاقتصاد لم يكن معتمدا بصورة مفرطة على الأموال الساخنة أو الاقتراض الخارجى قصير الأجل وكذلك لم تكن خدمة الدين تبتلع هذا الحجم الضخم من الموازنة العامة أو الاحتياطى الدولارى كما يحدث الآن.

حين انفجرت الأزمة العالمية بعد انهيار بنك ليمان براذرز فى الولايات المتحدة، وصل التأثير إلى مصر عبر قنوات محددة، ظهر فى تراجع السياحة وانخفاض إيرادات قناة السويس وخروج جزء من الاستثمارات الأجنبية من البورصة وحدث تباطؤ فى تحويلات العاملين بالخارج بشكل نسبي، ولكن رغم ذلك ظل الاقتصاد قادرا على امتصاص الصدمة دون انهيار شامل، لم يحدث تعويم للعملة ولم تقفز الأسعار بهذا الشكل العنيف ولم يدخل الاقتصاد فى أزمة ندرة دولار طويلة، حتى التضخم الذى ارتفع وقتها ظل فى حدود يمكن السيطرة عليها مقارنة بما حدث لاحقا حيث بلغ معدل التضخم فى ٢٠٠٨ حوالى ١٨,٣٪ وفق بيانات البنك الدولي.

السبب الرئيسي وقتها أن الاقتصاد المصرى كان أقل انكشافاً على النظام المالى العالمى وأقل اعتماداً على التمويل الخارجي، بمعنى أدق كان الاقتصاد يعانى بالفعل من مشكلات هيكلية مثل الفقر والبطالة وضعف العدالة الاجتماعية، لكنه لم يكن مبنى بهذا الحجم على التدفقات الدولارية الخارجية والديون والأسواق المالية الدولية، بل إن حكومة مبارك تعاملت مع الأزمة وقتها عبر أدوات تقليدية كزيادة الإنفاق العام وتوسيع بعض مشروعات البنية الأساسية مع محاولات تنشيط الاستثمار المحلى و كذلك خفض أسعار الفائدة تدريجيا لتحفيز الاقتصاد، ورغم أن هذه السياسات لم تغير طبيعة الاقتصاد أو تحل أزماته الاجتماعية فإنها نجحت نسبيا فى منع انتقال الأزمة المالية العالمية إلى أزمة نقدية داخلية شاملة.

لكن ما حدث بعد ٢٠١٣ ان دخل الاقتصاد المصرى فى نموذج مختلف تماما نموذج فيه الدولة توسعت بصورة ضخمة فى الاقتراض الخارجى وارتفع الاعتماد على تدفقات المحافظ المالية الأجنبية المعروفة بالأموال الساخنة، كما جرى التوسع فى مشروعات ضخمة كثيفة التكلفة تعتمد على الاستيراد والتمويل الدولارى فى وقت لم يحدث فيه تطور مواز فى القاعدة الإنتاجية الصناعية أو الزراعية هنا بدأت هشاشة الاقتصاد تتضاعف لأن أى أزمة خارجية أصبحت قادرة على ضرب عدة مفاصل فى وقت واحد: العملة الأجنبية. أسعار الغذاء. تكلفة الطاقة. خدمة الدين. تكلفة الاستيراد. التضخم. الاحتياطى النقدي.

بعد 2022 أصبحت الأزمة الخارجية تكشف أزمة داخلية أعمق والمواطن أصبح يعيش داخل الأزمة نفسها بشكل يومي

لكن تبلورت الأزمة بعد الحرب الروسية الأوكرانية فى ٢٠٢٢، هنا اصطدمت الصدمة الخارجية مباشرة بالنموذج الاقتصادى المصري، فمصر من أكبر مستوردى القمح فى العالم وتعتمد بصورة واسعة على الاستيراد الغذائى والصناعى والطاقة، مع الحرب ارتفعت أسعار القمح والنفط والشحن عالميا وفى نفس الوقت بدأت الأموال الساخنة فى الخروج من السوق المصرية مع رفع الفائدة الأمريكية فى خلال شهور قليلة فقد الجنيه جزءا كبيرا من قيمته وبدأت موجات متتالية من خفض سعر الصرف وارتفع التضخم إلى مستويات تاريخية تجاوزت ٣٣٪ فى ٢٠٢٣ بحسب بيانات البنك الدولى والبنك المركزى المصرى وهنا يظهر الفارق الجوهرى بين الأزمتين.

فى ٢٠٠٨، كانت الأزمة تضرب الاقتصاد المصرى من الخارج بينما بقيت البنية الداخلية مستقرة نسبيا، أما بعد ٢٠٢٢ فالأزمة الخارجية أصبحت تكشف أزمة داخلية أعمق نتيجة ان الاقتصاد يعتمد على الاستيراد أكثر من الإنتاج – يحتاج تدفقات دولارية مستمرة لتغطية التزاماته – ارتفعت فيه تكلفة خدمة الدين بصورة ضخمة – أصبح أكثر ارتباطاً بحركة رأس المال العالمى وتقلبات الفائدة الأمريكية وبالتالى تحولت الحساسية تجاه العالم الخارجى إلى حالة مزمنة، حتى التوترات الإقليمية الأخيرة المرتبطة بالبحر الأحمر وإيران انعكست مباشرة على الاقتصاد المصرى عبر تراجع إيرادات قناة السويس وارتفاع تكلفة التأمين والشحن واضطراب التجارة العالمية حتى ان صندوق النقد الدولى نفسه أشار إلى أن اضطرابات البحر الأحمر أثرت بقوة على موارد النقد الأجنبى المصرية.

لكن الأهم من كل ذلك هو تأثير التحول الاقتصادى على المواطن نفسه. ففى ٢٠٠٨ شعر المواطن بارتفاع الأسعار وببعض الضغوط الاقتصادية لكن الأزمة لم تتحول إلى تآكل يومى واسع النطاق فى الدخول والمدخرات، فلم يكن هناك هذا الحجم من القفزات المتكررة فى أسعار السلع والخدمات والطاقة والإيجارات. أما بعد ٢٠٢٢ فأصبح المواطن يعيش داخل الأزمة نفسها بشكل يومى متجلية فى تراجع القدرة الشرائية – قفزات مستمرة فى أسعار الغذاء – ارتفاع تكاليف النقل والطاقة – تآكل الأجور الحقيقية – تراجع الطبقة الوسطى – اتساع الاعتماد على الديون والاستهلاك المؤجل ،المفارقة أن النظامين السياسيين اتبعا فى جوهرهما مسار اقتصادى متشابها قائم على التحرير الاقتصادى والاعتماد على الاستثمار الخارجى وتشجيع القطاع الخاص نظريا والاقتراض والاندماج فى الاقتصاد العالمى لكن الاختلاف كان فى درجة التوسع وحدود المخاطرة ففى عهد مبارك ظل الاقتصاد أكثر تحفظاً فى الاقتراض الخارجى وأقل اندفاعا فى الاعتماد على التمويل الأجنبى قصير الأجل كما أن حجم المشروعات الكبرى الممولة بالدين كان أقل كثيرا.

أما فى السنوات الأخيرة فقد أصبح الاقتراض نفسه جزءا مركزيا من آلية إدارة الاقتصاد وتحولت الدولة إلى أكبر مقترض ومنافس اقتصادى فى السوق مع توسع غير مسبوق فى المشروعات كثيفة التمويل والاستيراد وهو ما جعل الاقتصاد أكثر حساسية لأى تغير عالمى فى الفائدة أو التجارة أو الطاقة أو الجغرافيا السياسية، ويمكن ان نستخلص انه لم تعد المشكلة فقط فى وجود أزمات عالمية بل فى طبيعة الاقتصاد المصرى نفسه الذى تغير وأصبح أكثر انكشافاً على العالم وأكثر اعتماداً على الخارج وأكثر هشاشة أمام أى اضطراب دولي.

بقلم: حسن البربري

الأموال الساخنة : مصر ملعب رهان أمريكى يجعلها عرضة للمخاطر

تنازل المال الساخن (أو الأموال الساخنة) هو مصطلح اقتصادى يشير إلى تدفقات ضخمة من الأموال التى ينقلها مستثمرون أجانب عبر الحدود بسرعة. تدخل هذه الأموال الأسواق، خاصة الأسواق الناشئة، بهدف المضاربة وتحقيق أرباح سريعة مستغلة ارتفاع أسعار الفائدة أو تقلبات أسعار الصرف، وتتميز بأنها تغادر السوق بسرعة عند حدوث أى أزمات.

سمات الأموال الساخنة قصيرة الأجل:

لا تُستثمر هذه الأموال فى مشاريع إنتاجية حقيقية تخلق فرص عمل، بل تتركز فى أدوات مالية سريعة التخارج مثل أذون الخزانة، السندات، والودائع.عالية المخاطر: نظراً لسرعة دخولها وخروجها (Hot money out)، فإنها تترك الأسواق عرضة لعدم الاستقرار المالى والنقدى المفاجئ.

حساسة للتوترات وكيف تؤثر:

تتأثر هذه الاستثمارات بشكل مباشر وفورى بالتغيرات الجيوسياسية أو رفع/ خفض أسعار الفائدة العالمية والمحلية.

عندما تتدفق هذه الأموال إلى دولة ما، فإنها تعزز الاحتياطى الأجنبى وتدعم العملة المحلية مؤقتاً. ولكن فى المقابل، يترتب عليها تكلفة عالية متمثلة فى الفوائد المرتفعة التى تدفعها الدولة للمستثمرين. وفى أوقات الأزمات، يؤدى خروجها المفاجئ إلى الضغط الشديد على العملة المحلية وانخفاض قيمتها مقابل الدولار، مسبباً تذبذباً حاداً فى أسواق الصرف.

ملعب الرهان الامريكي

فى السنوات الأخيرة، أصبحت الأموال الساخنة فى الاقتصاد المصرى واحدة من أكثر الملفات إثارة للجدل ، بعدما تحولت إلى أداة ضغط خارجى ووسيلة رهان داخلى على استقرار السوق.

هذه التدفقات المالية السريعة، القادمة فى الأساس من المؤسسات الاستثمارية الأجنبية، تدخل الأسواق المحلية بحثاً عن عوائد مرتفعة، لكنها سرعان ما تغادر عند أول إشارة اضطراب، تاركة خلفها فجوات فى السيولة وضغوطاً على العملة.

وبينما يرى البعض أنها شريان مؤقت يدعم احتياجات الدولة من النقد الأجنبي، يصفها آخرون بأنها فخ أمريكى يحوّل الاقتصاد إلى ملعب رهانات قصيرة الأجل لا يستند إلى استثمار حقيقى أو إنتاجي.

وفى الوقت الذى تحولت فيه مصر إلى وجهة رئيسية لتدفقات الأموال الساخنة، يظل مصير هذه الاستثمارات مرهوناً بتقلبات السياسة النقدية العالمية، وعلى رأسها قرارات مجلس الاحتياطى الفيدرالى الأمريكي.

فالمستثمر الأجنبى الذى يضخ أمواله فى أدوات الدين المصرية لا يبحث سوى عن العائد الأسرع والأعلى، وهو ما يجعل أى تغير فى الفائدة الأمريكية عاملاً حاسماً فى توجيه هذه التدفقات.

ويعنى خفض الفائدة فى الولايات المتحدة أن العائد على أدوات الدين الأمريكية يتراجع، وهو ما يفتح الباب أمام الأسواق الناشئة – وفى مقدمتها مصر – لاستقطاب جانب أكبر من الأموال الساخنة الباحثة عن عائد أعلى، وهنا قد تجد الحكومة المصرية فرصة لالتقاط أنفاسها عبر زيادة تدفقات النقد الأجنبى ودعم الاحتياطي.

لكن فى المقابل، يطرح الخبراء تساؤلات حول مدى استدامة هذا السيناريو، فالأموال الساخنة بطبيعتها سريعة الحركة، تدخل بقوة مع جاذبية العائد وتخرج بلا مقدمات عند أى اضطراب سياسى أو اقتصادي. وهو ما يضع الاقتصاد المصرى أمام معضلة: هل يكتفى بالرهان على هذه التدفقات المؤقتة، أم يسعى لتوظيفها كجسر نحو استثمارات إنتاجية طويلة الأجل تحقق الاستقرار الحقيقي؟

الأموال الساخنة

حجم الأموال الساخنة فى مصر

سجلت استثمارات الأجانب فى أذون الخزانة مستويات تاريخية بلغت نحو ٥٣,٩ مليار دولار بحلول نهاية يناير ٢٠٢٦.

لكن السوق شهدت موجات خروج متكررة بمليارات الدولارات نتيجة تصاعد التوترات والصراعات فى منطقة الشرق الأوسط. وأظهرت البيانات أنه بعد التقلبات الأخيرة استقرت استثمارات غير المقيمين فى الأوراق المالية الحكومية عند مستويات تتجاوز ٢٧ مليار دولار.

وعادة ما تستهدف الأموال الساخنة أذون الخزانة، أى أنها تتجه فعليًا لشراء الدين الحكومي. وعلى الرغم من فرض الحكومة ضريبة أرباح على عوائد أذون الخزانة تبلغ ٢٠٪، إلا أن بعض المستثمرين يتمتعون بالإعفاء أو يخضعون لمعدلات ضريبية مخفضة بموجب اتفاقيات ثنائية.

تتمتع مصر اليوم بوضع أفضل مما كانت عليه ، وبالإضافة إلى ذلك، يُعد الوضع المالى فى مصر أكثر قوة. ففى مطلع عام ٢٠٢٦، تراجعت احتياجات مصر من النقد الأجنبى مقارنة بعام ٢٠٢٢ خلال الحرب على أوكرانيا، وذلك بفضل زيادة الاستثمار الأجنبى المباشر وإيرادات قطاع السياحة وتحويلات المصريين العاملين بالخارج.

كما ساهم تبنى الدولة لسعر صرف مرن فى الحدّ من موجة المضاربة فى السوق السوداء، خلافاً لما حدث فى عام ٢٠٢٢ حين سجل الدولار الأمريكى مستوى قياسيًا بلغ ٧٢ جنيهًا مصريًا.

ومع ذلك، تظل مصر عرضة للمخاطر نظرًا للطبيعة المتقلبة لأثنين من مصادرها الأخرى للنقد الأجنبى وهما السياحة والتحويلات المالية. وبدلا من الاستمرار فى الاعتماد على الأموال الساخنة كحل مؤقت، يتعين على الحكومة البحث عن حلول طويلة الأمد من خلال جذب المزيد من الاستثمارات فى القطاعات الإنتاجية وتنمية مصادر مستدامة للنقد الأجنبي

هيباتيا موسى

تاريخ البنك الأهلى ودوره فى الاقتصاد المصرى فى كتاب جديد

أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب، ضمن إصدارات سلسلة تاريخ المصريين، كتابًا جديدًا بعنوان «البنك الأهلى ودوره فى الاقتصاد المصرى (١٨٩٨–١٩٦٠)» للدكتور محمد مبروك قطب، فى دراسة أكاديمية تسد فراغًا مهمًا فى حقل التاريخ الاقتصادى والمالى لمصر الحديثة والمعاصرة.

يأتى الكتاب فى سياق الحاجة المتزايدة إلى دراسات علمية متخصصة تتناول تاريخ المال والبنوك فى مصر، وهو مجال ظل – على الرغم من إسهامات رواده المصريين والأجانب – بحاجة إلى مزيد من البحث والتفكيك، خاصة فيما يتعلق بالمؤسسات المصرفية الكبرى ودورها فى تشكيل بنية الاقتصاد الوطنى خلال مرحلتى التبعية والاستقلال.

ويتناول المؤلف تاريخ البنك الأهلى المصرى منذ نشأته عام ١٨٩٨ كبنك أجنبى يعمل فى إطار الاقتصاد الاستعماري، وحتى تمصيره وتأميمه ثم تقسيمه عام ١٩٦٠ إلى بنكين: أحدهما البنك المركزى المصري، والآخر البنك الأهلى المصرى بوضعه الطبيعى كبنك تجاري. ويتميز العمل بتناوله الشامل لمسيرة البنك فى سياقها السياسى والاقتصادى والاجتماعي، دون الوقوع فى جفاف التحليل الرقمى أو الإغراق فى التفاصيل الإحصائية.

ويشير الكتاب إلى أن اختيار الموضوع يرتبط بالسياق الوطنى لتحرير الاقتصاد المصري، الذى عبّر عنه مبكرًا الاقتصادى الوطنى الكبير طلعت حرب فى كتابه الشهير «علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك للمصريين» الصادر عام ١٩١١، والذى شكّل أحد الأسس الفكرية للحركة الاقتصادية الوطنية فى مواجهة الهيمنة الأجنبية.

وقدّم الدكتور محمد مبروك هذه الدراسة فى الأصل كأطروحة دكتوراه حصل بها على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة عام ٢٠١٢، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد عفيفي، قبل أن ترى النور فى صورتها المنقحة ضمن إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ويرصد الكتاب تطور وظائف البنك الأهلي، بدءًا من دوره كبنك تجاري، مرورًا بتحوله التدريجى إلى بنك مركزي، وصولًا إلى اضطلاعه بمهام إصدار النقد، والرقابة على البنوك، وإدارة الائتمان الزراعى والصناعى والتجاري. كما يتوقف عند موقف البنك من الأزمات الاقتصادية الكبرى التى شهدتها مصر، مثل أزمة ١٩٠٧، والكساد العالمى (١٩٢٩–١٩٣٣)، وأزمة الأرصدة الإسترلينية، وحصار مصر الاقتصادى عام ١٩٥٦، محللًا طبيعة الدور الذى لعبه البنك فى كل منها.

ويولى المؤلف اهتمامًا خاصًا بالصراع بين الرأسمالية الأجنبية والرأسمالية المصرية، وجهود تمصير الجهاز المصرفي، وصولًا إلى قرارات التمصير عام ١٩٥٧، ثم التأميم والتقسيم عام ١٩٦٠، بما يعكس التحولات العميقة فى بنية الاقتصاد المصرى آنذاك.

ويمثل الكتاب إضافة نوعية للمكتبة التاريخية والاقتصادية المصرية، لما يتسم به من دقة علمية وموضوعية واعتماد على مصادر أرشيفية متنوعة، ويُنتظر أن يفتح آفاقًا جديدة للبحث فى تاريخ المؤسسات المالية ودورها فى مسار الدولة المصرية الحديثة.

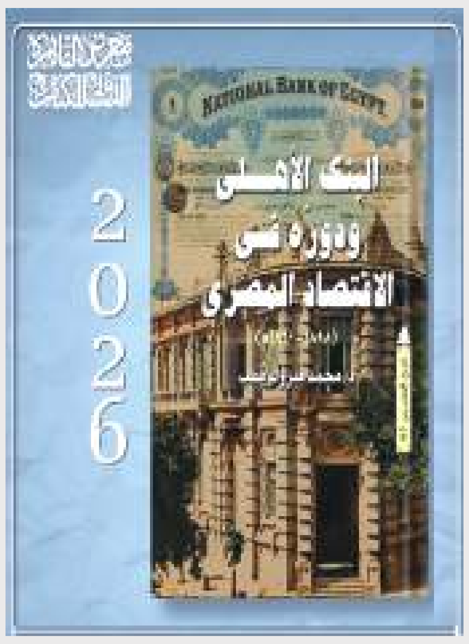

كلمة حرة نزيهة

محمد عبدالمجيد هندي

لم يعد الإعلام فى كثير من دولنا مجرد وسيلة لنقل الخبر، بل تحوّل فى أحيان كثيرة إلى أداة لإعادة تشكيله، تجميله، أو حتى دفنه. الحقيقة التى يجب أن تُقال دون مواربة أن ظاهرة طمس الحقائق لم تعد استثناءً عابرًا، بل أصبحت نمطا متكرّرًا، خاصة فى الدول النامية، وبالتحديد فى عدد غير قليل من الدول العربية.

الإعلام، فى جوهره، سلطة رقابية رابعة، ومرآة تعكس الواقع كما هو، لا كما يُراد له أن يكون. لكنه فى واقعنا العربى كثيرًا ما تحوّل إلى مرآة مشروخة؛ تعكس نصف الصورة وتُخفى النصف الآخر، تُكبّر ما يخدم سردية بعينها، وتُصغّر أو تتجاهل ما يُربكها. وهنا تكمن الحقيقة المُرّة: ليس كل ما يُعرض هو الحقيقة، وليس كل ما يُخفى غير موجود.

وجوه الإعلام المزيّف

الإعلام المزيّف لا يرتدى قناعًا واحدًا. أحيانًا يأتى فى صورة مذيع يرفع صوته دفاعًا عن "الوطن" بينما يُقصى كل رأى مخالف. وأحيانا يظهر فى تقارير براقة تُغرق المشاهد فى تفاصيل هامشية لتُبعده عن جوهر القضية. وقد يتجسد فى عناوين مثيرة مصممة لجذب الانتباه لا لإيصال الحقيقة.

من أخطر وجوه هذا الإعلام هو "التسويق السياسي" الذى يُقدّم فى صورة تحليل موضوعي. تتحول البرامج الحوارية إلى ساحات تأييد، وتُختار الضيوف بعناية ليكونوا صدىً لرأى واحد. تُختزل القضايا المعقّدة فى شعارات، ويُصوّر النقد باعتباره خيانة، ويُقدّم الصمت على أنه حكمة.

لماذا انتشرت الظاهرة فى الدول النامية؟

فى الدول النامية، تتداخل عوامل عدة تجعل الإعلام أكثر هشاشة أمام التسييس والتوجيه:

الاعتماد المالى: كثير من المؤسسات الإعلامية تعتمد على تمويل حكومى مباشر أو غير مباشر، أو على إعلانات شركات مرتبطة بالسلطة. من يملك المال، يملك التأثير.

ضعف التشريعات الضامنة للاستقلال: غياب قوانين واضحة تحمى الصحفيين وتضمن حرية تداول المعلومات يفتح الباب واسعًا أمام الضغوط والرقابة.

الخوف من المساءلة أو العقاب: فى بيئات تُضيّق على حرية الرأي، يصبح الصحفى أمام خيارين: الصمت أو المجازفة. وكثيرون يختارون السلامة المهنية على حساب الحقيقة الكاملة.

الأمية الإعلامية لدى الجمهور: حين يغيب الوعى بكيفية تحليل الأخبار، يسهل تمرير الروايات الجاهزة، ويصعب كشف التلاعب.

تغليب الولاء على الكفاءة: فى بعض المؤسسات، يُقدّم الموالى على المهني، فيتحول الإعلام إلى وظيفة سياسية لا رسالة مجتمعية.

الحقيقة المُرّة

الحقيقة المؤلمة أن الإعلام حين يفقد استقلاله، يفقد ثقة الناس. وحين يفقد ثقة الناس، يفتح المجال للفوضى المعلوماتية، ولانتشار الشائعات، ولصعود منصات غير مهنية قد تكون أكثر جرأة، لكنها ليست بالضرورة أكثر دقة.

الواقع أن كثيرًا من الأزمات التى شهدتها بعض الدول العربية لم تكن وليدة لحظتها، بل سبقتها سنوات من التعتيم، وتزييف المؤشرات، وتجميل الأوضاع.

الإعلام الذى يُخفى الاحتقان لا يُلغيه، بل يؤجله. والإعلام الذى يُغلق باب النقد، يفتح باب الانفجار.

لماذا لا يوجد إعلام حر ؟

السؤال الذى يفرض نفسه: لماذا لم يتكرّس لدينا إعلام حر مستقل بعيد عن التسييس؟

الإجابة معقّدة، لكنها تبدأ من طبيعة العلاقة بين السلطة والإعلام. فى بيئات سياسية تعتبر النقد تهديدًا، لا يُنظر إلى الإعلام كشريك فى الإصلاح، بل كخصم يجب احتواؤه أو السيطرة عليه. كما أن غياب نموذج اقتصادى مستقل للمؤسسات الإعلامية يجعلها دائمًا فى حاجة إلى "راع" سياسى أو مالي.

ثم هنّاك إشكالية الثقافة السياسية ذاتها؛ فحين يُربّى المجتمع على أن الاختلاف خطر، يصبح الإعلام الحر غريبًا عن السياق العام. الإعلام الحر يحتاج إلى بيئة تؤمن بالتعددية، وتحترم الحق فى السؤال، وتقبل المساءلة.

بين المسؤولية والأمل

ورغم هذا الواقع، لا يمكن إنكار وجود صحفيين شرفاء، ومؤسسات تحاول أن تحافظ على قدر من المهنية، وتدفع ثمن ذلك من سمعتها أو مواردها أو حتى سلامتها. الأمل لا يزال قائمًا فى جيل جديد أكثر وعيًا، وأكثر قدرة على استخدام التكنولوجيا لكسر احتكار المعلومة.

الإعلام الحر لا يولد بقرار، بل يُبنى بثقافة، وتشريعات، واستقلال اقتصادي، وإرادة مجتمعية تدافع عنه. إنه مسؤولية مشتركة بين الصحفي، والقارئ، والمشرّع، وصاحب القرار.

فى النهاية، تبقى الكلمة الحرة أمانة. قد تُحاصر، وقد تُشوّه، وقد تُتّهم، لكنها تظل الطريق الوحيد لبناء وعى حقيقي. أما الإعلام المزيّف، فقد ينجح مؤقتًا فى طمس الحقائق، لكنه يعجز دائمًا عن إلغائها. فالحقيقة، مهما طال غيابها، لا تموت... بل تنتظر من يجرؤ على قولها.

المشهد
العدد 346 – السنة الرابعة عشرة - الأحد 15 فبراير 2026 م - 27 شعبان 1447 هـ

قالت العرب

تَعيّبينَ الذّنوبَ، وأيّ حُرٍّ مِن الفِتيانِ ليسَ لَهُ ذنوبُ
فهذا العيشُ لا خِيمُ البوادي ، و هذا العيشُ لا اللبنَ الحليبُ
فأيْنَ البدْوُ من إيوانِ كِسْرَى ، وأيْنَ منَ المَيادينِ الزُّرُوبُ؟

فوضى الفراغ: مصر فى مرمى التهديدات

على مدى سبعة عقود، تعلم الشرق الأوسط أن يقرأ خرائط حروبه بلغة واضحة: هذا معسكرنا، ذاك معسكرهم، هذا محور الحق، ذاك محور الباطل، وكانت الثنائية وحدها كفيلة بمنح المنطقة حداً أدنى من الاستقرار (استقرار توازنى بارد)، لا يرتقى إلى السلام، لكنه يمنع السقوط فى الهاوية، وكان العدو المشترك، مهما بلغت ضراوته، يؤدى وظيفة غير معلنة: حيث يجمع الأصدقاء المتنافرين تحت مظلة واحدة، ويؤجل صراعاتهم الجانبية إلى أجل غير مسمى، وكان كل جانب يعرف من يواجه، ومن يحتمى به، وأين تقف الخطوط الحمراء.

تشريح معمق للحظة غامضة تعيشها المنطقة اعتماداً على أحدث تقديرات مراكز الدراسات الدولية والاستخباراتية

عاصفة قادمة من كل الاتجاهات وتهديدات أربعة جميعها اختارت مساراً واحداً: "قلب القاهرة" من الخليج إلى الساحل الإفريقى

واليوم

للمرة الأولى يختفى العدو دون أن ينهزم، يتراجع دون أن يستسلم، يغادر المشهد دون أن يخلّف وصية، وما يبدو للوهلة الأولى انتصارا تاريخيا للحلفاء التقليديين – تراجع النفوذ الإيراني، انشغال طهران بجروحها الداخلية، تراجع أحلامها فى الهيمنة – يتحول ببطء إلى كابوس من نوع آخر، لأن السؤال الذى لا يجرؤ أحد على صياغته بوضوح بدأ يفرض نفسه بقسوة: ماذا نفعل نحن – الحلفاء – وجها لوجه، بعد أن رحل العدو؟

وفى عام ٢٠٢٦، لم يعد الخطر الأكبر يكمن فى القنبلة التى قد تمتلكها إيران، ولا فى الصاروخ الذى قد يطلقه حزب الله، فالخطر الأكبر هو فراغ غامض، غير مرئي، يتسع بصمت بين أيدى الحلفاء أنفسهم، فراغ لا يعترف به أحد، ولا توجد خريطة لاجتيازه، ولا قواعد اشتباك للتعامل مع من كانوا حتى أمس القريب فى الخندق نفسه، إنه عصر "ما بعد العدو": لحظة استراتيجية فريدة، لم تختبرها المنطقة بهذا الشكل من قبل، حيث يجد الحليف نفسه فجأة فى مرمى حليفه، وحيث تُرفع الأسلحة فى وجه من كان بالأمس شريك السلاح.

هذا المقال ليس محاولة لتأريخ الأحداث، ولا رصداً يوميا لما تنقله وكالات الأنباء، بل هو تشريح معمق لهذه اللحظة الغامضة التى تعيشها المنطقة، واعتماداً على أحدث تقديرات مراكز الدراسات الدولية والاستخباراتية الصادرة فى يناير ٢٠٢٦، يسعى المقال إلى تفكيك أربعة تهديدات كبرى، لاتزال تعمل تحت سطح التحليلات اليومية، بعيداً عن أضواء الكاميرات وعناوين النشرات الرئيسية، تهديدات لا تعترف بالحدود، ولا تنتظر دورها فى قائمة الأولويات الرسمية، لكنها تعيد تشكيل المنطقة من الداخل، بهدوء يصيب بالهلع.

ونظراً لطول هذا التشريح وتشعب تفاصيله، فقد تم تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء متتابعة، يأخذ كل جزء منها القارئ فى رحلة إلى عمق أحد هذه التهديدات:

الجزء الأول يتضمن المقدمة العامة للمقال، ويتناول بالتحليل أول هذه التهديدات وأكثرها وضوحا: انهيار التماسك الخليجى وتحول الحلفاء إلى خصوم، وتداعيات ذلك المباشرة على مصر التى وجدت نفسها فجأة فى مرمى صراع لا ناقة لها فيه ولا جمل.

الجزء الثانى ينتقل بالتحليل إلى تهديدين أكثر غموضا لكنهما لا يقلان خطورة: الأول هو "الانتشار النووى العابر" أو ما يمكن تسميته بالتسرب النووى تحت أنقاض المنشآت الإيرانية المدمرة، والثانى هو أزمة المياه التى تتحول ببطء من ملف بيئى إلى محرك رئيسى للصراعات والانهيارات الوطنية.

الجزء الثالث يكتمل به التشريع بتناول التهديد الرابع والأقل ظهوراً لكنه الأكثر ترجيحا للانفجار: انهيار منطقة الساحل الإفريقى وتحولها إلى حاضنة إرهابية جديدة تهدد مصر من الجنوب والغرب معا، ليختتم بعدها بالتوصيات الاستراتيجية لمصر، والخاتمة التى ترسم ملامح الطريق فى عام الفهم الجديد.

وإذا كانت مصر – بثقلها التاريخى وجغرافيتها المتشعبة – تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن بؤر الصدام المباشر، فإن الحقيقة الأكثر إزعاجا هى أن العاصفة قادمة من كل الاتجاهات، وأن التهديدات الأربعة جميعها، من الخليج إلى الساحل الإفريقي، ومن الفرات إلى النيل، قد اختارت مساراً واحداً: "قلب القاهرة".

أولا: انهيار التماسك الخليجي

منذ تأسيس مجلس التعاون عام ١٩٨١، قامت العقيدة الأمنية الأمريكية – بل والنظام الإقليمى برمته – على افتراض بدا وكأنه من بديهيات الجيوبوليتيك: أن السعودية والإمارات، هذان الثقلان المتجاوران، يشكلان معاً الركيزة التى يستند إليها استقرار المنطقة، وكان يُفترض بهما، بحكم المصير المشترك والتحالف التاريخي، أن يحافظا على حد أدنى من التنسيق، وأن تظل خلافاتهما – مهما بلغت – محصورة فى الغرف المغلقة، بعيداً عن أعين الكاميرات وعناوين النشرات الرئيسية.

وهذا الافتراض سقط، ليس بهدوء، بل بانفجار عنيف فى صبيحة الثلاثين من ديسمبر ٢٠٢٥، ففى ذلك اليوم، لم تكن طائرات التحالف العربى تستهدف الحوثيين فى صعدة، ولم تكن الغارات موجهة إلى معاقل إيران فى صنعاء، كانت القنابل التى ألقيت على ميناء المكلا – ذلك الشريان اليمنى المطل على بحر العرب – تستهدف شحنة أسلحة قادمة من الإمارات، موجهة إلى قوات المجلس الانتقالى الجنوبي، الحليف الأقرب لأبوظبى فى اليمن، وكانت الطائرات سعودية، والقذائف سعودية، والأهداف هى ذاتها التى دربت الإمارات عناصرها لحراستها، وللمرة الأولى فى تاريخ التدخل الخليجي، اصطدم حليفان رئيسيان وجها لوجهٍ فوق أرض يمنية.

ولم يكن ما حدث خلافا عابرا يمكن احتواؤه باتصال هاتفى أو زيارة خاطفة، كان زلزالا أعلن – دون مواربة – أن مرحلة "التحالف الموحد" قد انتهت، فالرياض، التى رأت فى تمدد المجلس الانتقالى نحو حضرموت والمهرة تجاوزاً لكل الخطوط الحمراء، أصدرت بيانات لم تعهد لها بهذه الحدة: اتهمت أبوظبى صراحة بالضغط على الجماعات الانفصالية لشن هجمات تهدد الأمن الوطنى السعودي، وطالبتها بسحب قواتها خلال ٢٤ ساعة، والمقابل الإماراتى لم يكن أقل صدمة، فعبرت الخارجية عن "أسفها العميق" و"دهشتها" من ضربة استهدفت قواتها، ونفت أن تكون الشحنة تحمل أسلحة، مؤكدة أنها كانت إمدادات لوجستية لجنودها، واتهمت الرياض باتخاذ قرار أحادى دون تنسيق.

لكن اليمن، كما يدرك الجميع، لم يكن سوى المسرح، فالجذور تمتد أعمق بكثير من صراع على وكيل محلى فى عدن أو سيئون، فما حدث فى المكلا لم يكن بداية القطيعة، بل كان لحظة انفجار حقيقى لصهارة تراكمت على مدى سنوات تحت قشرة التحالف الهشة، فمنذ عام ٢٠١٩ على الأقل، والرؤيتان تتباعدان بصمت: السعودية، المنشغلة برؤية ٢٠٣٠، تريد استقراراً يمكنها من جذب الاستثمارات وتنويع الاقتصاد وإقناع العالم بأنها وجهة آمنة، والإمارات التى سبقت الرياض إلى هذا السباق بعقود، تمارس نموذجاً مختلفاً من النفوذ: استثمار فى الموانئ، تحالفات مع قوى محلية غير حكومية، ذراع عسكرية طويلة تمتد من سقطرى (أرخبيل يمني) إلى بربرة (عاصمة منطقة الساحل فى صوماليلاند)، ومن إقليم تيجراى (فى شمال أثيوبيا) إلى ضفاف النيل، والرياض ترى فى هذا النموذج ليس فقط منافسة مشروعة، بل تهديداً وجودياً متكاملا.

لقد وصل الأمر إلى درجة باتت معها الرياض تصف سياسة أبوظبى الخارجية – علناً – بأنها "استثمار فى الفوضى"، واتهمتها وسائل إعلام سعودية بأنها تحولت إلى "أداة إسرائيلية" فى المنطقة، وفى المقابل، يرد الإماراتيون بهدوء ظاهري، لكن مراكز أبحاثهم وتصريحات مسؤوليهم الكبار تشى بمرارة عميقة: "الخلافات فى الرأى أمر طبيعي، لكن غير الطبيعى هو الخبث فى الخلاف" هكذا قال أنور قرقاش المستشار الدبلوماسى لرئيس دولة الإمارات، واصفاً الحملة الإعلامية التى تتعرض لها بلاده بأنها "غير مسبوقة"، فالإمارات التى ساعدت محمد بن سلمان فى صعوده وقدمت له الغطاء الدولى فى لحظاته الأصعب، تجد نفسها اليوم متهمة بالتآمر على مشروع ولى العهد السعودى الأكبر.

لكن المأساة الحقيقية لا تكمن فى تبادل الاتهامات، بل فيما تخلفه هذه الفجوة من فراغ استراتيجى هائل، فاليمن الذى كان يفترض أن يكون ساحة انتصار موحد على الحوثي، تحول إلى مقبرة للتحالف، والمفارقة المروعة، التى لا يتوقف محللون كبار عن ترديدها، أن الحوثيين اليوم أقوى مما كانوا عليه قبل سنوات، ليس لأن إيران ضخت استثمارات إضافية فيهم، بل لأن أعداءهم – وهم يفترض أنهم حلفاء – انشغلوا بتفكيك بعضهم البعض، وكل خلاف سعودى إماراتى على ميناء أو وكيل أو منطقة نفوذ يخلق مساحة عملياتية إضافية لطهران، تملؤها فورا بصواريخها وطائراتها المسيرة.

والأكثر إزعاجا أن هذه الفجوة لم تعد محصورة فى اليمن، فهى تمتد اليوم مثل شقوق زلزال صامت إلى كل نقطة ساخنة فى المنطقة والعالم: فى السودان، تدعم الرياض الجيش، وأبوظبى تسلح الدعم السريع وتوفر سبل تدريبه، وفى الصومال، تمسك الإمارات بخيوطها مع أرض الصومال الانفصالية، بينما تدعم الرياض الحكومة المركزية، وفى سوريا، تتخوف الإمارات من الرئيس الجديد ذى الخلفية الإسلامية، فتضغط وتتلكأ فى التمويل، بينما تراهن السعودية على استقراره وتضخ ملياراتها فى إعادة الإعمار، وحتى فى شرق المتوسط، الإمارات طبّعت مع إسرائيل منذ سنوات، بينما تصر الرياض على أن قيام دولة فلسطينية هو شرط لا يمكن تجاوزه.

والرياض، التى باتت ترى فى أبوظبى "تهديداً للأمن القومي" لا مجرد منافس، تحاول اليوم بناء تحالف مواز مع أنقرة وإسلام آباد لموازنة النفوذ الإماراتى المتضخم، وأبوظبى التى شعرت بأنها مستهدفة، ترد بسرعة البرق: محمد بن زايد يزور نيودلهي، ويبحث عن تحالف دفاعى مع الهند – العدو اللدود لباكستان – فيما يشبه لعبة الشطرنج الجيوبوليتيكية الأكثر خطورة فى تاريخ الخليج.

وفى قلب هذه العاصفة تقف مصر، فالقاهرة التى بنت على مدى عقد كامل تحالفاً استراتيجيا مع محور سعودى إماراتى موحد، تجد نفسها فجأة فى موقع المستهدف غير المباشر، ليس لأنها طرف فى الصراع، بل لأنها حجر الرحى الذى لا يستطيع أى من القطبين الاستغناء عنه، ولا يقدر أىٍ منهما على هضمه كليا، فأبوظبى تملك ذراعا ماليا طويلا فى القاهرة، استثمارات بالمليارات ودعم لا ينقطع، والرياض تملك الثقل السياسى والروحي، وتشارك مصر ذات الرؤية فى رفض التجزئة والحفاظ على الدولة الوطنية، فأن تختار القاهرة بينهما يعنى أن تخسر نصف تحالفاتها، وأن تظل على الحياد يعنى أن تفقد النفوذ فى ساحات تتحول يوما بعد يوم إلى ميادين اختبار للصراع الخليجي-الخليجي: ليبيا، والسودان، والصومال، وشرق المتوسط.

مصر تجد نفسها فجأة فى موقع المستهدف.. ليس لأنها طرف فى الصراع، بل لأنها حجر الرحى الذى لا يمكن الاستغناء عنه

إنها معضلة وجودية بامتياز، تضع مصر أمام سؤال لا تملك رفاهية تأجيل الإجابة عليه: كيف تحافظ على حلفاء يتقاتلون على ميراثٍ العدو المشترك، قبل أن يُهزم هذا العدو أصلا؟ وكيف تواجه تهديدات إيران وتركيا والإرهاب العابر، وجبهتها الداخلية الخليجية ذاتها منشقة على نفسها؟

فالخليج، الذى ظل لعقود عنوان الاستقرار المالى والسياسي، يتحول اليوم إلى بؤرة اهتزاز جديدة، والأسوأ أن لا أحد يعرف كيف ستكون قواعد الاشتباك فى المرحلة القادمة، لأن الخريطة التى اعتاد الجميع قراءتها – محور ضد محور، عدو ضد آخر – لم تعد صالحة، فالعدو يتراجع، لكن الحلفاء يقتتلون، والفراغ يتسع، وليس على الطاولة أى خريطة بديلة.

مصر بين مطرقة الفراغ وسندان الخيار

هكذا، إذن، يقف المشهد الخليجى اليوم: تحالف كان يفترض أن يكون صخرة صلبة فى وجه العواصف، يتحول إلى رمال متحركة تبتلع كل من يقترب منها، وما كان بالأمس عنوانا للاستقرار الإقليمى صار اليوم بؤرة اهتزاز جديدة، تهدد بإعادة تشكيل المنطقة وفق منطق لا يشبه أى شيء عرفناه من قبل، ففى غياب العدو المشترك، يتحول الصديق إلى خصم، وتتحول أدوات الحرب إلى تركة يتقاتل عليها الورثة قبل أن يبرد جسد الميت.

انهيار التماسك الخليجى وحليفان رئيسيان يشكلان معاً ركيزة استقرار المنطقة يتصادمان وجهاً لوجه فوق أرض يمنية

ومصر، التى راهنت طويلاً على وحدة هذا المحور، وبنَت على مدى عقد كامل تحالفاً استراتيجياً مع قطبى الخليج معاً، تجد نفسها اليوم فى موقع لا تحسد عليه، ليست طرفاً فى الصراع، لكنها فى مرماه، وليست خصماً لأحد، لكنها هدف غير مباشر لكل تحولاته، فالقاهرة التى اعتادت أن تكون صمام أمان المنطقة، تجد أن صمام الأمان نفسه أصبح مهدداً بالانفجار. وأمام هذه المعضلة الوجودية، لا تملك مصر رفاهية الانتظار، ولا ترف الحياد السلبي، ولا خيار الانحياز الكامل، والمطلوب منها اليوم هو ابتكار معادلة جديدة للوجود فى خليج لم يعد كما كان: خليج يتحول تدريجياً من ساحة تحالف إلى ساحة تنافس، ومن فضاء تنسيق إلى مسرح صراع بالوكالة.

لذلك، تقف مصر اليوم أمام ضرورة تبنى استراتيجية واضحة تقوم على ثلاثة أسس:

أولا: سياسة "التوازن الإيجابي" لا "الحياد السلبي"، وعلى القاهرة أن تتعامل مع كل دولة خليجية على حدة، بوصفها طرفاً مستقلا له مصالحه وحساباته، لا بوصفها جزءاً من كتلة موحدة، وهذا يعنى تطوير علاقات ثنائية مع الرياض وأبوظبى – والدوحة أيضاً – تقوم على مصالح محددة بوضوح، وشروط معلنة، وآليات تنفيذ لا تترك مجالاً للمناورات الضيقة، وعلاقات لا تلغى التحالف القائم، لكنها تحصن مصر من تقلباته.

ثانياً: تحصين الجبهة الداخلية من تداعيات الصراع الخليجي، فعلى الدولة المصرية أن تعلن – بصوت مسموع لا لبس فيه – أن أراضيها ومياهها وخطوطها الجوية خط أحمر، لا يمكن أن تتحول منصة لتصفية حسابات إقليمية، وأى محاولة لاستخدام النفوذ المصرى كورقة فى الصراعات الخليجية – الخليجية، أو لجر القاهرة إلى مستنقع التنافس المحموم، ستقابل برفض حازم لا يعرف المزايدة، وهذه ليست دعوة للانعزال، بل لترسيخ قاعدة أن مصر شريك لا تابع، وحليف لا أداة.

ثالثا: استباق الأزمات عبر بناء آليات إقليمية بديلة، فبدلا من انتظار ما تسفر عنه صراعات الآخرين، على مصر أن تتحرك نحو إنشاء أطر تنسيقية جديدة تضمن مصالحها وتحمى استقرار المنطقة، فمبادرة مصرية – أردنية – خليجية لإدارة الأزمات فى سوريا واليمن والسودان، ليست رفاهية دبلوماسية، بل ضرورة استراتيجية، وهذه الآلية، إن نجحت فى خلق قواعد اشتباك جديدة، قد تكون البديل العملى عن منطق التنافس الأحادى الذى أكلت المنطقة ثماره المرة لعقود.

وهذا هو التحدى الأول، وهذه هى معالم الطريق فى مواجهته، ولكن التهديدات لا تتوقف عند حدود الخليج، بل تمتد إلى ما هو أخطر وأكثر غموضاً: فوضى نووية تحت أنقاض إيران، وأزمة مياه تعيد تعريف الوجود، وانهيار الساحل الإفريقى الذى يقترب من الحدود المصرية ببطء منهجي، وكل هذه الملفات ستكون موضوع الأجزاء التالية من هذا المقال، لأن الفهم الحقيقى لعام ٢٠٢٦ لا يكتمل إلا برؤية شاملة، تدرك أن التهديدات الأربعة ليست منفصلة، بل حلقات فى سلسلة واحدة، وكلها تستهدف قلباً واحداً: مصر.

بقلم: أحمد حمدى درويش

فوضى الفراغ: مصر فى مرمى التهديدات

تهديد يتشكل على بعد أقل من ألف كيلو متر من الحدود الغربية لمصر

تخيل أن حدودك الغربية والجنوبية تتحول تدريجياً إلى مصدر تدفق للإرهاب والسلاح واللاجئين، دون أن تشن حرباً معلنة، دون أن تعلن دولة قيام الحرب عليك، وهذا ما يحدث الآن على بعد أقل من ألف كيلومتر من الأراضى المصرية، حيث تسقط دول بأكملها فى يد جماعات لا تعترف بحدود ولا تلتزم بقانون، حيث تتحول مالى وبوركينا فاسو والنيجر إلى نسخة طبق الأصل من أفغانستان ما قبل ٢٠٠١، لكن هذه المرة على أعتاب ليبيا والسودان.

وما يجعل هذا التهديد مختلفاً أن الإرهاب هناك لم يعد يشبه داعش ٢٠١٤ فى الموصل والرقة، إنه إرهاب جديد: لا دولة مركزية يعلنها، لا مدن كبرى يحتلها، لا أعلام يرفعها، إنه إرهاب ينتهج أسلوب حرب العصابات، ينساب فى الصحراء كالماء، يضرب ثم يختفي، يظهر ثم يندمج مع المدنيين، يبنى دولة فعلية تحت الأرض وفوق الرمال، يحكم ويدفع رواتب ويفرض ضرائب دون أن يستفز العالم فيضرب بقنابله.

هذا الإرهاب الجديد لا يهدد الساحل وحده، فتقارير مركز ستيمسون (Stimson Center) تؤكد أن النزاعات الإفريقية لم تعد جزراً منفصلة، بل أرخبيلاً متصلاً تحت الماء، وما يحدث فى مالى يصل إلى ليبيا عبر النيجر وتشاد، وما يحدث فى ليبيا يعبر إلى السودان، ومن السودان إلى مصر، فى حلقة مفرغة من العنف والسلاح والتهجير تنتج جيلاً كاملاً لا يعرف سوى القتال.

ومصر التى تواجه اليوم معركة استنزاف فى سيناء وتدير توازناً دقيقاً على حدودها الغربية وتراقب بيقظة حركة النيل، تجد نفسها أمام سؤال وجودي: كم جبهة يمكن لدولة أن تتحمل فى آن واحد؟ وماذا يحدث عندما تطبق الكماشة من الشرق والغرب والجنوب معاً؟

التهديد القادم من الجنوب

فى قلب الصمت الاستراتيجى العربي، تحت رادار التحليلات اليومية المنشغلة بغزة وإيران وسوريا، ينزف جنوب آخر، نزيف لا يُرى لأنه بعيد، لا يُسمع لأنه لا يشبه انفجارات العناوين الرئيسية، لكنه يتقدم باتجاه الشمال ببطء منهجى لا يقل فتكاً عن أقوى الصواريخ وأعتى الجيوش.

فهناك، فى الشريط الممتد من المحيط الأطلسى إلى البحر الأحمر، من موريتانيا حتى تشاد، منطقة الساحل الإفريقى تحتضر بصمت، وحين تسأل عن النعش ومن يحمله، لن تجد جنازة واحدة، بل عشرات الجماعات المسلحة التى تتناحر على تقسيم الجثة قبل أن تبرد.

وتقرير الأمين العام للأمم المتحدة الصادر فى ٣١ يناير ٢٠٢٦ لا يترك مجالاً للشك: تهديد داعش لم يتراجع، بل ازداد تعقيداً وتكثيفاً فى مسارح متعددة، والوضع أخطر ما يكون فى إفريقيا، ففروع التنظيم، ولاسيما "ولاية الساحل" و"ولاية غرب إفريقيا"، لم تعد تختبئ فى الجبال البعيدة، وهى اليوم تبسط سيطرتها على مساحات شاسعة من بوركينا فاسو ومالى والنيجر، وتفرض ضرائب، وتدير معابر حدودية، وتنشر عدالتها الوهابية بقوة السلاح، والأخطر من كل ذلك أنها تتعلم من أخطاء الماضي.

وداعش الساحل لا يبحث عن خلافة معلنة هذا العام، ولا يريد استفزاز العالم كما فعل أسلافه فى الموصل والرقة، فقد تعلم الدرس جيداً: الشهرة جلبت الطائرات، والعناوين الرئيسية جلبت القنابل، وهو اليوم يبنى دولة حقيقية تحت الأرض وفوق الرمال، يكسب قلوب القرويين بتوفير الأمن الذى عجزت عنه جيوش سبع دول، ويدفع رواتب، ويحكم نزاعات، ويقدم خدمات لا تقدمها حكومات تفقد السيطرة على نصف أراضيها.

وفى بوركينا فاسو، التى كانت مثالاً للتسامح الدينى فى غرب إفريقيا، لا تسيطر الحكومة اليوم إلا على أقل من نصف التراب الوطني، والثلثان الباقيان تحت نفوذ جماعات جهادية تتقدم يومياً نحو السواحل، وعدد القتلى المرتبط بالعنف المتطرف تضاعف ثلاث مرات فى ثلاث سنوات فقط، وفى ديسمبر الماضي، استقالت الحكومة بعد سلسلة هجمات خطفت عاملين أجانب وقتلت مئات الجنود، وفى العاصمة واجادوجو ذاتها، لم يعد الموظفون ينامون فى منازلهم القريبة من الأحياء الشرقية، خوفاً من أن يستيقظوا تحت حكم لا يعترف إلا بسيفه.

وفى مالي، حيث بدأت القصة قبل عقد من الزمن، وصل الأمر إلى ذروته فى سبتمبر ٢٠٢٥، فجبهة نصرة الإسلام والمسلمين، ذراع القاعدة الأقوى فى الساحل، فرضت حصارا اقتصادياً خانقاً على العاصمة باماكو، ومنعت ناقلات الوقود من الدخول، وقطعت الإمدادات عن مدينة بأكملها، والمجلس العسكرى الحاكم، الذى وعد باستعادة السيادة وطرد القوات الفرنسية، عجز عن كسر الحصار، وأغلقت المدارس، ونزح الدبلوماسيون، وأدرك الجميع أن الدولة فى مالى لم تعد موجودة خارج أسوار القصر الرئاسي.

ثم جاءت الضربة الأكثر إيلاماً: فى يوليو ٢٠٢٥، نفذت جبهة النصرة سبع هجمات متزامنة فى منطقة كايس على الحدود مع السنغال وموريتانيا، ولأول مرة منذ اندلاع التمرد قبل خمسة عشر عاماً، امتدت النار إلى دولتى الساحل الناعم، الدولتان اللتان ظلتا لعقدين ملاذاً آمناً فى محيط ملتهب، فالسنغال وموريتانيا، اللتان راهنتا على حظوتهما وعزلتهما الجغرافية، اكتشفتا فجأة أن الإرهاب لا يحترم حدوداً ولا عقود أمن ولا علاقات حسن جوار.

وفى أكتوبر، بينما كان جيش مالى منهمكاً فى محاولة فك الحصار عن العاصمة، انقضت الجماعات المسلحة على بلدة لولونى فى منطقة سيكاسو، على بعد مئات الكيلومترات جنوباً، وكان هذا التوغل الأعمق باتجاه حدود ساحل العاج وغانا وتوجو منذ بداية الأزمة، والخطر لم يعد ساحلياً فقط، بل صار يطرق أبواب خليج غينيا، حيث تتركز الثروات والموانئ الاستراتيجية التى تغذى نصف القارة.

أرخبيل متصل تحت الماء

والأكثر إثارة للقلق أن هذه التهديدات لم تعد منعزلة عن بعضها، فتقرير مركز ستيمسون يحذر من أن نزاعات إفريقيا لم تعد جزراً منفصلة، بل أرخبيلاً متصلاً تحت الماء، فالمقاتلون والتكتيكات والأسلحة والتمويل تنتقل الآن بين المناطق بسرعة مرعبة، ومجموعات الصومال المتطرفة تتلقى تدريبا ومواد من اليمن، وخلايا نيجيريا تتصل بشبكات التهريب الليبية عبر تشاد والنيجر، والفرق بين جبهة القتال فى بحيرة تشاد وجبهة القتال فى جبال درنة لم يعد سوى رحلة بطائرة صغيرة أو قافلة دفع رباعى تجتاز صحراء لا سلطان لأحد عليها.

والمفارقة المأساوية أن كل هذا يحدث تحت أنظار العالم المتغافل، والغرب الذى أنهكه الانسحاب من أفغانستان والانشغال بأوكرانيا وغزة، يتعامل مع الساحل وكأنه مشكلة فرنسية قديمة لا تخص أحداً، وبعض القوات الخاصة لا تزال موجودة هنا وهناك، لكن وجودها مجرد قطرة فى محيط من الرمال المتحركة، والإدارة الأمريكية الحالية، المنشغلة بوعودها الانتخابية بإنهاء الحروب الأبدية، لا تجد وقتاً لتهديد لا يلوح مباشرة على شاشات التلفزيون.

ولكن الأدهى أن الوعى الاستراتيجى العربى مازال أسيرا لنموذج داعش ٢٠١٤: تنظيم مركزى يسيطر على مدن، ويرفع أعلاماً سوداء، ويعلن خلافة، ثم يسقط تحت قنابل التحالف الدولي، هذا النموذج انتهى، فداعش الساحل لا يريد مدناً يضطر للدفاع عنها، يريد صحراء لا نهاية لها، يريد حدوداً مفتوحة تسمح بالحركة والاختفاء، يريد قرى صغيرة يشترى ولاءها بالمال والخوف معاً، إنه إرهاب ينتهج حرب العصابات، لامركزي، متكيف، يضرب ثم يختفي، ويظهر ثم يندمج مع المدنيين، ولا يمكن هزيمته بغارة جوية واحدة، لأنه ليس هدفا ثابتاً، ولا يمكن القضاء عليه باقتحام مدينة واحدة، لأنه ليس فى مدينة.

هذا هو التهديد الذى يتشكل الآن على بعد أقل من ألف كيلومتر من الحدود الغربية لمصر، والساحل ليس قارة منفصلة عن مصر، فالساحل هو الحزام الناعم الذى يسبق الصحراء الليبية، وهو الحاضنة التى تسبق العاصفة، وكل كيلومتر يخسره جيش النيجر أو تشاد لصالح الجماعات المسلحة هو كيلومتر يقترب فيه الإرهاب من تخوم الكفرة والجغبوب، وكل قطعة سلاح ثقيل تسقط فى أيدى متمردى مالى هى قطعة سلاح قد تجد طريقها غداً إلى بنغازى أو درنة أو سبها، وكل مليون لاجئ يفر من جحيم بوركينا فاسو هو مليون إنسان قد يبحث عن ممر إلى أوروبا عبر شواطئ مصر الشمالية.

والارتباط الاستراتيجى الخفى بين ليبيا والساحل هو أحد أكثر الأسرار المكشوفة إزعاجاً فى جيوبوليتيك المنطقة، وفشل تسوية الأزمة الليبية عام ٢٠١٥، عندما طردت قوات البنيان المرصوص داعش من سرت، لم يكن نهاية القصة، بل كان بداية فصل جديد، فالتنظيم لم يُهزم، بل تفرق وانتشرت خلاياه جنوباً نحو سبها ومرزق، ثم عبرت الحدود الناعمة نحو النيجر وتشاد، ومن هناك وجدت طريقها إلى شمال نيجيريا ومالي، والسلاح الذى كان فى سرت أصبح اليوم فى بحيرة تشاد، والمقاتلون الذين قاتلوا فى الهلال النفطى يقاتلون اليوم على تخوم باماكو، وليبيا لم تعد فقط ساحة صراع، بل أصبحت ممراً استراتيجياً يمد جبهات القتال فى عمق إفريقيا بالذخائر والخبراء والأموال.

وهذه الحلقة المفرغة من العنف والتطرف والتهجير تنتج جيلاً كاملاً لا يعرف سوى الحرب، أطفال ولدوا فى مخيمات اللجوء، كبروا على صوت الرصاص بدلاً من أغانى الأطفال، تدربوا منذ سن الثانية عشرة على حمل الكلاشنيكوف، فهؤلاء لا يعرفون مهنة غير القتال، ولا اقتصاداً غير الغنيمة، ولا قانوناً غير قانون البندقية، وفى كل عام، ينضم آلاف منهم إلى الجماعات المسلحة، ليس إيماناً بالعقيدة بالضرورة، بل لأنها الوظيفة الوحيدة المتاحة، والانتماء الوحيد المتاح، والهوية الوحيدة المتاحة.

ومصر اليوم تقود معركة استنزاف شرسة فى سيناء، وتدير توازناً دقيقاً على حدودها الغربية مع ليبيا، وتراقب بيقظة حركة المياه فى النيل فانهيار الساحل يعنى شيئاً واحداً لمصر: إحكام طوق إرهابى مزدوج، فمن الغرب، عبر ليبيا التى تتحول تدريجياً إلى ساحة خلفية لصراعات الساحل، ومن الجنوب، عبر حدود مباشرة مع السودان الذى يعانى أصلاً من حرب أهلية شرسة أودت بحياة ٤٠٠ ألف إنسان وشردت ١٣ مليوناً.

فالسودان اليوم لم يعد دولة، بل أرخبيلا من مناطق النفوذ المتناحرة، تغذيها أطراف إقليمية ودولية، وتتدفق إليها الأسلحة من كل اتجاه، والساحل يغذى السودان، والسودان يغذى ليبيا، وليبيا تعيد تدوير التهديد نحو مصر.

كم جبهة يمكن لدولة أن تتحمل فى آن واحد؟ وماذا يحدث عندما تطبق الكماشة من الشرق والغرب والجنوب معاً؟

وهذه ليست نظرية مؤامرة، فلا اعتقدت يوماً بتلك النظرية بعد البحث المضني، وإنما هى قراءة باردة لخرائط التمدد، وتقرير مركز ستيمسون يحذر من أن "النزاعات الإفريقية لم تعد معزولة عن بعضها"، فالمقاتلون ينتقلون بين الجبهات، والأسلحة تجتاز القارات، والتمويل يعبر الحدود كالماء بين أصابع من يحاول احتواءه، وفى هذا السياق، تصبح مسافة الألف كيلومتر بين القاهرة وباماكو وهمية، والعولمة لا تعنى فقط تدفق البضائع والأفكار، بل أيضاً تدفق الإرهاب.

نظرة تحتاج مراجعة

ولطالما نظرت النخب الاستراتيجية العربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء كعمق جيوبوليتيكى أو "سوق واعدة" أو "مجال حيوي"، ولكن هذه النظرة من أعلى إلى أسفل تحتاج اليوم إلى مراجعة جذرية، فإفريقيا لم تعد هامشاً ينتظر من يكتشفه، بل أصبحت مركزاً لاضطرابات تعيد تشكيل النظام الدولي، والساحل ليس مجرد بقعة على الخريطة، بل هو معمل اختبار لنماذج جديدة من العنف المنظم، قد تنتقل عدواها إلى شمال القارة فى أى لحظة.

وفى عام ٢٠١١، تجاهل العالم تحذيرات قليلة عن تنامى جماعة بوكو حرام فى شمال نيجيريا، وفى عام ٢٠١٣، استهان المحللون بقدرة داعش على التحول من فرع لتنظيم القاعدة فى العراق إلى دولة خلافة عابرة للحدود، وفى عام ٢٠٢٠، راهن كثيرون على أن جائحة كورونا ستوقف الإرهاب، فكان أن استغل التنظيم الوباء لتجديد صفوفه، واليوم فى ٢٠٢٦، تتكرر نفس القصة: العالم مشغول بغزة وأوكرانيا وتايوان، وداعش الساحل يبنى دولته بهدوء.

ومصر لا تملك رفاهية الانشغال، ليست لأنها تمتلك قدرة استخباراتية خارقة، بل لأنها تواجه التهديد من مسافة الصفر، وكل تأخير فى فهم طبيعة الخطر القادم من الجنوب هو رهان على مستقبل الأمن القومي، وكل اختزال للإرهاب الساحلى فى كونه "مشكلة فرنسية" أو "أزمة إفريقية" هو تجاهل لحقيقة أن الحدود لم تعد تحمى أحداً.

والمسافة بين تمبكتو والقاهرة تقاس بالأيام على الطرق الصحراوية، لا بالسنوات الضوئية، والأسلحة التى تسقط اليوم فى أيدى مسلحى مالى قد تصل غداً إلى أطراف سيناء، فوحدها اليقظة الاستباقية، والفهم العميق لطبيعة التهديد الجديد – اللامركزي، المتكيف، الصامت – هى القادرة على منع تكرار سيناريوهات الأمس، وما لم يدرك صناع القرار أن معركة مصر على حدودها الغربية بدأت فعليا قبل سنوات، فى رمال مالى وصحراء النيجر، فسيبقى الرد متأخراً، وثمن التأخير هذه المرة قد يكون باهظاً لا قبل لمقدرة أمة به.

التوصيات: الإفلات من وطأة الفراغ

فى اللحظة التى تتشابك فيها التهديدات الأربعة الكبرى، وتغدو الخريطة الإقليمية أشبه بلوحة شطرنج تتحرك قطعها من تلقاء نفسها، يصبح السؤال الأكثر إلحاحاً لا يتعلق بماذا نفعل غداً؟، بل بسؤال أعمق وأخطر: كيف ننتقل من موقع الدفاع عن النفس إلى موقع صناعة قواعد اللعبة ذاتها؟

وعلى مصر إذن؛ أن تخرج من دائرة ردود الأفعال إلى فضاء صناعة الأفعال، وهذا يتطلب تحولات استراتيجية كبرى، لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى، لأنها جميعاً تشكل معاً شبكة أمان واحدة.

التجلى الأول لهذا التحول يبدأ فى الخليج، حيث لم تعد المعادلة البسيطة قائمة: تحالف سعودى إماراتى موحد فى مواجهة تحالف إيرانى معزول، فالخليج اليوم يتسع لقطبين متنافسين، وربما أكثر، ومصر التى راهنت طويلاً على وحدة هذا المحور تجد نفسها أمام امتحان صعب: كيف تحتفظ بعلاقات استراتيجية مع طرفين يتحولان تدريجياً إلى خصمين، دون أن تخسر أحدهما أو تنحاز ضد الآخر؟

والحل لا يكمن فى الانحياز الكامل، ولا فى الحياد السلبى الذى يقرأه الطرفان كضعف أو تخل، فالحل هو فى ابتكار نموذج جديد للعلاقات، يمكن تسميته بتوازن القوى الإيجابى أو التعاون المرن، ونموذج تقيم فيه مصر علاقات ثنائية مع كل دولة خليجية على حدة، لا بوصفها كتلة واحدة، وفق مصالح محددة بوضوح، وشروط معلنة، وآليات تنفيذ لا تترك مجالاً للتأويل، نموذج تعلن فيه القاهرة – بصوت مسموع – أن أراضيها ومياهها وخطوطها الجوية ليست منصة لتصفية حسابات إقليمية، وأن أى محاولة لاستخدام النفوذ المصرى كورقة فى الصراعات الخليجية – الخليجية ستقابل برفض حازم لا يعرف المزايدة.

ولكن توازن القوى الإيجابى لا يكتمل دون بعد إقليمى أوسع، فمصر تمتلك من الثقل التاريخى والجغرافى ما يؤهلها لتكون صانعة تحالفات، لا مجرد عضوة فيها، وحان الوقت لمبادرة مصرية – أردنية – خليجية مشتركة لإدارة الأزمات فى الساحات الساخنة: سوريا، اليمن، السودان، مبادرة لا تنتظر تفويضاً من أحد، ولا تجعل نجاحها مرهوناً بموافقة الأطراف المتصارعة، بل تخلق وقائع جديدة على الأرض، وتقدم نفسها كبديل عملى عن منطق التنافس الأحادى الذى أكلت المنطقة ثماره المُرّة لعقود.

والتجلى الثانى ، فهو الأكثر وجودية، أزمة المياه، فلا يمكن لمصر أن تواجه هذا التهديد بالرهان على القانون الدولى وحده، لأن القانون فى العلاقات الدولية (وأحياناً الإنسانية) لا يحمى الضعفاء، بل ينظم انتصارات الأقوياء، اثنا عشر عاماً من المفاوضات مع إثيوبيا لم تنتج اتفاقاً، ليس لأن الدبلوماسية المصرية فشلت، بل لأن أديس أبابا تدرك أن الوقت فى صالحها، وأن التلكؤ هو تكتيك وليس عجزاً.

والخروج من هذا المأزق يتطلب تحولاً جذرياً فى المنطق: الانتقال من استراتيجية "الدفاع عن الحقوق" إلى استراتيجية "إدارة الندرة"، وليس لأن الحقوق غير مهمة، بل لأن انتظار اعتراف دولى بها قد يستغرق وقتاً لا تملكه الأجيال القادمة، وإدارة الندرة تعنى استثماراً وطنياً ضخماً فى أربعة مسارات متوازية: تحلية المياه بوصفها صناعة مستقبلية لا مجرد حل مؤقت، الزراعة الذكية التى تنتج أكثر باستهلاك أقل، ترشيد الاستهلاك الذى يتحول من شعارات إعلامية إلى سياسات عمومية بآليات تحفيز وعقاب واضحة، والتوسع فى استخدام التكنولوجيا المائية المبتكرة التى تحول كل قطرة إلى أقصى طاقة إنتاجية ممكنة.

ولكن إدارة الندرة لا تعنى الانكفاء على الداخل، بل تعنى أيضاً توظيف العلاقات الإفريقية المصرية – وهى أقدم وأعمق من أن تلغى – لبناء تحالفات مائية موازية فى حوض النيل، تحالفات لا تركز فقط على مواجهة إثيوبيا، بل تقدم نموذجاً تعاونياً مختلفاً: محطات رفع تعمل بالطاقة الشمسية فى أوغندا، آبار جوفية فى جنوب السودان، محطات تنبؤ بالأمطار فى الكونغو، خزانات أرضية فى كينيا، وكل مشروع من هذه المشاريع هو سهم فى قلب منطق الصراع الأحادي، وكل شراكة تنموية هى استثمار فى مستقبل المياه وليس فقط فى حصتها.

وبالتوازى مع ذلك، على مصر أن تكسر تابوهات قديمة، فربط الأمن المائى بالأمن الغذائى عبر شراكات استراتيجية مع دول لا تعانى من شح مائى – أوكرانيا، رومانيا، دول أميركا اللاتينية – هو خط دفاع متقدم، وليس هروباً من المواجهة، استيراد الغذاء ليس بديلاً عن حماية حقوق النيل، لكنه تأمين للجبهة الداخلية فى زمن الحروب الطويلة، والدولة التى تطعم شعبها لا يمكن هزيمتها، حتى لو طالت المفاوضات وتعقدت التحالفات.

والتجلى الثالث يأتى من الجنوب، حيث التهديد الأقل ظهوراً لكنه الأكثر ترجيحاً للانفجار، فمصر تواجه اليوم خطر الإرهاب على جبهتين: سيناء شرقاً، وليبيا غرباً. لكن الجبهة الثالثة – الجنوبية – تتشكل الآن بهدوء، فى رمال مالى وصحراء النيجر وغابات بوركينا فاسو، وخطر هذه الجبهة ليس أنها جديدة، بل أنها متصلة بالجبهتين الأخريين عبر شبكات تمويل وسلاح ومقاتلين لا تعترف بالحدود.

ومصر لا تملك رفاهية انتظار وصول التهديد إلى تخومها الجنوبية، وهى لا تستطيع مواجهته بجدران عازلة أو حقول ألغام، فالطريق الوحيد لقطع هذا الخطر من جذوره هو تحول جذرى فى العقيدة الأمنية المصرية تجاه إفريقيا: من دولة تواجه تهديدات من الجنوب، إلى دولة تصدِّر الأمن إلى الجنوب.

وهذا التحول يعنى أولاً تفعيل دبلوماسية وقائية نشطة فى منطقة الساحل، لا تكتفى بالتحذيرات والتصريحات، بل تترجم إلى برامج تنموية ملموسة على الأرض، كمدارس تفتح أبوابها لأطفال لم يعرفوا سوى الخيام، آبار مياه تحفر فى قرى لم تصلها أنابيب، وحدات صحية متنقلة تجوب مناطق تحولت فيها الأمراض البسيطة إلى أوبئة قاتلة، والتنمية هنا ليست عملاً خيرياً، بل هى أقوى أسلحة مكافحة التطرف، لأن الجوع والجهل هما أعظم مجندى الجماعات المسلحة.

وهذا التحول يعنى ثانياً بناء شراكات أمنية حقيقية مع دول تشاد والنيجر ومالي، وشراكات لا تقوم على منطق الوصاية أو التفوق، بل على تبادل المصالح والخبرات، كتدريب قوات محلية على حرب الصحراء، وتبادل المعلومات الاستخبارية عن تحركات الجماعات المتطرفة، وإنشاء غرف عمليات مشتركة لمراقبة الحدود، وقطع طرق الإمداد التى تربط بين ساحات القتال فى الساحل وليبيا، وهذه ليست تدخلاً فى الشؤون الداخلية، بل هى دفاع عن الأمن القومى المصرى فى عمقه الجيوبوليتيكي.

تحولات كبرى، مقاربات جذرية، رهانات على المستقبل فى زمن لا يرحم، وليس فيها ضمانات مطلقة، ولا وعود بالنصر السريع، ولا اختصارات توهم بالحلول السحرية، لكنها معاً تشكل خريطة طريق واضحة، تنتقل بمصر من موقع المستهدَف بالتهديدات إلى موقع صانعة قواعد الاشتباك الجديدة، وفى عالم ما بعد التحالفات الهشة، وما بعد العدو المشترك، وما بعد الأيديولوجيات الكبرى، لا خلاص لأمة إلا بيقظة لا تعرف الكلل، وعقلية منفتحة على إعادة اختراع نفسها كل صباح، وإيمان راسخ بأن الجمود موت، وأن الحركة – مهما كانت محفوفة بالمخاطر – هى وحدها طريق الحياة، فمصر ليست ضحية جغرافيتها، بل هى صانعة مصيرها، وهذا المصير يبدأ اليوم، ليس بانتظار ما تخبئه الأقدار، بل بما تزرعه القرارات.

بقلم: أحمد حمدى درويش

نص الدراسة كاملة على موقع المشهد
https://www.elmashhad.online/Post/details/188332

المشهد
العدد 346 – السنة الرابعة عشرة - الأحد 15 فبراير 2026 م - 27 شعبان 1447 هـ

قالت العرب

وَاللّيلَ لمّا أن حَلك / وَالسابحات في الفَلَك على مَجاري المُنسَلَك /
لَبّيكَ إنّ الحمدَ لك / وَالمُلكَ لا شَريكَ لك / اعمَل وَبادر أجَلك /
وَاختُم بخَيرٍ عَمَلك / لَبّيكَ إنّ الحمدَ لك.

من الإبداع فى العمل الصحفى إلى الإبداع فى كتابة السيرة الذاتية

أدب السيرة بروح التحقيق الصحفي.. زينب عبد اللاه تعيد الحياة للمبدعين

وثقت سيرة الرائدات بشهادات حية ممن لازلن على قيد الحياة واستعانت بدراسات وأبحاث عنهن

بدأت زينب محققة صحفية بجريدة الأحرار عام ١٩٩٤عقب تخرجها فى كلية الاعلام وقتها كان التحول من الإصدار الأسبوعى للإصداراليومى للجريدة، مارست فن التحقيق وأثبتت كفاءتها.

ولأن من ينجح فى التحقيقات يستطيع أن يثبت كفاءته وجدارته عندما توكل إليه مهام صحفية أخرى فقد حققت زينب نجاحا عندما أشرفت على الصفحة الدينية بجريدة الأسبوع لتقدم الدين للحياة وتكتسب ثقة واحترام المصادرفى المؤسسات الدينية الأزهر ودارالأفتاء ووزارة الأوقاف ولم تتخل عن رؤيتها النقدية، لتحتفظ بعلاقتها بالمصادر الرسمية، دعتها وزارة الأوقاف لحضور إحتفالية ليلة القدر آخر ليلة بحضرها مبارك قبل ثورة يناير، كتبت زينب عبد اللاه مقالا لا ينسى "ليلة القدر فى حضرة الرئيس" كشفت فيه تناقضات مابين قدسية الليلة وجلالها وبين الإجراءات الأمنية المشددة التى ضيعت على المشايخ صلاة المغرب لتثبت كفاءتها فى كتابة المقال النقدى.

وعندما وقعت كارثة العبارة السلام فبراير ٢٠٠٦ الذى أسفر عن غرق أكثر١٣٠٠ شخصا منهم أسر كاملة كتبت مقال "أنا وأولادى فى العبارة" كلمات تقطر وجعا.

عن إستحقاق فازت زينب عبد اللاه بجوائز نقابة الصحفيين فى فرع التحقيق الصحفى وفى فن الحوار وفى الكتابة الانسانية فازت بجائزة الكاتب الصحفى صبرى غنيم وجائزة الكتابة الفنية، وهو المجال الذى عملت به عندما إنتقلت من "الأسبوع" إلى "اليوم السابع".

خبرات زينب الصحفية ظهرت عندما قررت دخول مجال أدب السيرة، حيث قدمته بروح التحقيق الصحفى، روح الاستقصاء والتحرى ونبدأ من أحدث إصدارتها.

الضيف أحمد

"الضيف..سيرة أطول من العمر"، قدمت زينب للكتب بكلمات أقرب للشعر تعبر فيها عن مغزى الكتاب ورسالته بأن الله لايضيع أجر من أحسن عملا فى الدنيا والآخرة، وأن الله يسخرمن يعيد الاعتبار والتكريم حتى لو مضى على الوفاة أكثر من أربعين عاما، وأن العبرة ليست بعدد سنوات نحياها ولكن بالأثر الذى نتركه، وكلنا عليها ضيوف والسيرة أطول من العمر.

بحثت زينب فى سيرة ومسيرة "الضيف أحمد" الفنان الجميل الذى أحبه الجمهور، ورغم قصرعمره الفنى ترك بصمة فى فن الكوميديا لم تكتف بكلام المعاصرين أو النقاد أو زوجته نبيلة مندور أو أفراد عائلته والمقربين، فلم تقدم كلاما مرسلا بحثت فى تاريخ الحياة البرلمانية لتتأكد من معلومة أن جد الضيف كان عضوا بأول مجلس نيابى يعينه الخديوى إسماعيل عام ١٨٦٦، وكان إسمه مجلس شورى النواب، قرأت تاريخ المسرح والحياة الفنية فترة الضيف، انتقلت بنا عبر صفحات الكتاب فى الأماكن التى عاش ومر بها تقتفى أثره لتخرج لنا صورة الفنان الذى أحببناه من خلال أدواره، ليزيد حبنا له بمعرفة جوانب إنسانية كشفتها زينب .

أدب السيرة الذاتية بروح التحقيق الصحفى يعنى توفر قيم الدقة والتوثيق والعمق والتنوع وقد توفر ذلك فى سيرة الضيف.

فى بيوت الحبايب

وهى نفس القيم التى التزمت بها زينب فى كتابها الأول "فى بيوت الحبايب الأبناء يفتحون خزائن الأسرار" تقدم زينب سيرة ١٩ شخصية عشقها المصريون وكان لهم أثرا وبصمة لاتنسى

إقتربت من حياتهم ونقلت تفاصيل رحلة إبداعهم وما تعرضوا له من محن وابتلاءات .. التقت زينب بالأبناء والأحفاد وحصلت على صور ووثائق نشرتها للمرة الأولى.

أعادت تقديم الشيخ محمد رفعت صوت السماء، ومن خلال قصته يأتى الحديث عن شخصية كان لها دور فى حفظ تراث الشيخ محمد رفعت، وهو زكريا باشا مهران عضو مجلس الشيوخ الذى سجل كل حفلات الشيخ المذاعة على الهواء ولم يكن لدى الإذاعة تسجيل وقدمها للاذاعة بعد مرض الشيخ واحتباس صوته، مقابل أن تخصص الاذاعة معاشا شهريا للشيخ رفعت، السيرة الذاتية للشيخ رفعت مفعمة بالحياة فصوت حفيدته يستغيث مطالبا بحفظ تراثه وتسجيلاته.

وعبر صفحات الكتاب تلتقى زينب بأبناء وأحفاد وأقارب نجوم أمتعونا بديع خيرى وعادل خيرى وعبد الفتاح القصرى وعماد حمدى ومحمد عبد المطلب وزينات صدقى وعقيلة راتب ومحمد رضا والشيخ سيد النقشبندى وتوفيق الدقن وعبد المنعم إبراهيم وعبد المنعم مدبولى وفؤاد المهندس وحمدى وعبد الله غيث وسعاد محمد وحسن عابدين ومديحة كامل وعلاء ولى الدين

كل هؤلاء النجوم الذين أسعدونا تجدهم على صفحات فى بيوت الحبايب سيرة من لحم ودم.

أنا الأولى

ومن سيرة نجوم الفن إلى سيرة الرائدات جاء كتاب زينب "أنا الأولى ماخفى من حياة الرائدات" كتاب تقدم فيه سيرة ٢١رائدة من مختلف المجالات، كانت كل واحدة منهن الأولى لم يسبقها غيرها من النساء مقتحمات مجالات كانت مغلقة على الرجال فقط.

فى سيرة الرائدات لم تكتف زينب بالمادة الأرشيفية وإنما وثقت سيرة الرئدات بشهادات حية ممن لازلن على قيد الحياة وممن كانوا على علاقة بهن كما إستعانت بالدراسات والبحوث والكتب.

لتقدم لنا سيرة فاطمة وسكينة وكريمة أوليات الأزهر والتلاوة وعائشة التيمورية أول متعلمة وشاعرة وأديبة، وملك حفنى ناصف أول فتاة نحصل على الابتدائية، ونبوية موسى أول حاصلة على البكالوريا وأول ناظرة مدرسة، وهيلانة سيداروس أول طبيبة وأول إمرأة تفتح عيادة، وكوكب حفنى ناصف أول طبيبة جراحة وتوحيدة عبد الرحمن أول طبيبة فى مستشفى حكومى. ونازلى محمد جاد أول طبيبة باطنة وعباسية فرغلى أول سيدة تقود سيارة وسهير القلماوى أول سيدة تلتحق بالجامعة وسلطانة الطرب منيرة المهدية أول ممثلة والأفوكاتو نعيمة أول محاسبة ولطفية النادى أول فتاة تقود طائرة وبهيجة حافظ أول مؤلفة موسيقية وصفية المهندس أول مذيعة وماجدة صالح أول راقصة بالية وفايزة هيكل أول عالمة آثار وإيناس وعبلة أول سباحتين .

تنوع فى مجالات الريادة يؤهل الكتاب للتحول إلى عمل درامى فى مسلسل أو عدة مسلسلات تعرض حياة الرائدات .

فى الكتب الثلاثة نجحت زينب عبد اللاه فى كتابة أدب سيرة ذاتية ينبض بالحياة وغزلت بقلمها حروفا من لحم ودم أعادت الحياة لنجوم فارقونا وبقى عطر سيرتهم.

تقرير: نجوى طنطاوي

شفرة الأمل بين هيمنجواي وكويلو

لو كانت الأحلام بحجم ما نملك.. لما غادر الميناء مسافر ولا عبر الصحراء مغامر

ليست مصادفة أن يحمل بطلا روايتي العجوز والبحر للأمريكي إرنست هيمنجواي والخيميائي للبرازيلي باولو كويلو الاسم نفسه: سنتياجو. كأن الاسم جسرٌ خفيٌ بين بحر لا يرحم وصحراء لا تُعطي أسرارها إلا للمغامر الجريء.

في النص الأمريكي، يتجاوز العمل حدود حكاية صيد سمكة مارلين عملاقة على يد رجل عجوز يحمل تاريخًا طويلاً من التجارب الإنسانية. نقرأ سيرة إنسان آماله أكبر من واقعه، وأحلامه أوسع من إمكاناته.

سنتياجو العجوز يخرج إلى البحر بعد أربع وثمانين ليلة من الخيبات والعودة من رحلاتٍ الصيد خالي الوفاض، ومع هذا يعاود الذهاب إلى البحر. كان متمسكًا بالأمل، وبأن ماضيه حافل بإنجازات الصيد المميزة وانتصاراته في لعبة مصارعة الذراعين، حتى صار لقبه سنتياجو البطل، لكثرة ما قهر من منافسين.

ها هو بجسد منهك ويد جريحة، وقارب أبسط من أن يحتمل معجزةً، يخرج في الصباح الباكر حاملاً أدوات صيد بسيطة. لا لأن البحر وعده بشيء، بل لأن داخله يرفض التصالح مع الهزيمة. إنه لا يطارد السمكة فحسب، بل يطارد معنى ذاته، ويضعها أمام اختبار البقاء، كعادته معها. حين علقت المارلين العملاقة بخيطه، أدرك منذ اللحظة الأولى أن المعركة غير متكافئة، ومع هذا لم يفكر بالانسحاب. استرجع تفاصيل صيد سمكتين عملاقتين تزن كل منهما مئات الكيلوجرامات، كان ذلك في شبابه، ولم يكن وحده. هز رأسه في استسلام من يواجه العاصفة وحده. كان على يقين أن الإنسان قد يُهزم، لكنه لا يُكسَر.

وفي الطرف الآخر من العالم، يسير سنتياجو الخيميائي خلف حلم رآه في منامه. شاب فقير، بلا أدوات، ولا يقين، سوى حدس غامض، وإشارات أكثر غموضًا، تخبره أن هناك كنزًا ينتظره. يهجر القطيع ويغامر بالسفر من موطنه في إحدى قُرى الأندلس إلى سفح الأهرامات البعيد. خسر ماله، وعمل عند بائع كريستال، لكنه تعلّم الإصغاء إلى القلب، فيكتشف أن الطريق إلى الحلم جزء من الحلم ذاته. هنا لا يكون الهدف مجرد الوصول، بل التحوّل الذي يصيب الإنسان وهو يسير.

لم يكن النجاح الظاهري هو ما جمع كلاً من سنتياجو العجوز عندما عاد بهيكل سمكة التهمتها القروش، وسنتياجو الشاب العائد ملهوفًا إلى بلده ليكتشف كنزه. كان ما جمعهما ذلك الإيمان العميق بأن القيمة ليست في النتيجة، بل في محاولات السعي النبيلة التي تُجَرد الإنسان من خوفه وتعيد تشكيله.

الأَمل، في الروايتين، ليس تفاؤلًا ساذجًا، بل فعل مقاومة. مقاومة للزمن، وللسخرية، وللشيخوخة وضعف الجسد، ولصوت العقل حين يتحول إلى مبرر للتراجع. الأهداف هنا لا تُقاس بالإمكانات المتاحة، بل بالقدرة على الاحتمال. سنتياجو العجوز يعرف أن جسده لن يصمد طويلًا، لكنه يصرّ على خوض المعركة كاملة. وسنتياجو الخيميائي يدرك هشاشته، فيدرب روحه لتحتمل الطريق.

لقد علمنا كلاهما درسًا أخلاقيًا عميقًا مفاده؛ أن تكون أهدافك أكبر من إمكاناتك فهذا ليس ضربًا من الجنون، بل شرطٌ للمعنى. لو كانت الأحلام بحجم ما نملك، لما غادر الميناء مسافر، ولا عبر الصحراء مغامر. الإنسان لا يكتشف طاقته الحقيقية إلا حين يضع نفسه في مواجهة ما يبدو مستحيلًا، حينها يكتشف معجزة الخالق سبحانه وتعالى فيما وهبه من إمكانات.

في النهاية، لا يخبرنا هيمنجواي ولا كويلو كيف ننتصر، بل كيف نعيش بكرامة. كيف نتمسك بخيط الأمل حتى وإن تآكلت أيدينا. كيف نمضي في الطريق، حتى لو عاد البحر فارغًا، وحتى لو كان الكنز رمزيًا. فربما يكون أعظم ما نصطاده، أو نعثر عليه، هي أنفسنا.. لا أكثر.

الأديب البرازيلي باولو كويلو يحتفل بعيد ميلاده الـ٧٤

ارنست همينغوي وزوجته ماري في أفريقيا قبل حادثي تحطم الطائرتين

الكاتب البرازيلي باولو كويلو يظهر في جلسة تصوير لفيلمه

همينغوي في مقصورة قاربه «بيلار»، قبالة سواحل كوبا في خمسينيات القرن العشرين

بقلم: د. محمد مصطفى الخياط
MOHAMED.ELKHAYAT@YAHOO.COM

«الأدب والجنون» لشاكر عبد الحميد.. قراءة نقدية فى جدل الإبداع والمرض النفسى

أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب كتاب «الأدب والجنون» للدكتور شاكر عبد الحميد، وذلك ضمن مشروع إصدار مؤلفاته الكاملة، فى خطوة تعيد طرح واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل فى تاريخ الفكر الإنساني: العلاقة بين الإبداع الفنى والمرض العقلي.

يتناول الكتاب قضية طالما شغلت الباحثين والعلماء والفنانين، وانقسمت حولها الآراء بين مؤيد لوجود تلازم بين العبقرية والجنون، ورافض لهذا الربط. فقد ذهب بعض المفكرين، مثل جاك دريدا، إلى أن المواهب العظيمة قرينة الجنون، بينما اعتبر الطبيب الإيطالى تشيزارى لومبروزو أن العبقرية تعبير عن عقل مريض، وتحدث الطبيب الألمانى إرنست كريتشمر عن العنصر المرضى المصاحب للمستويات المرتفعة من الموهبة. فى المقابل، رفض عدد كبير من العلماء والفنانين هذا الطرح، مؤكدين أن الإبداع يقوم فى جوهره على ملكة التنظيم والقدرة على إعادة تشكيل العالمين الداخلى والخارجي، وهى قدرات تتناقض مع تفكك التفكير واختلال الإدراك الملازمين لحالات الذهان.

ويقدم الكتاب عرضًا تاريخيًا مختصرًا لتطور مفهوم "الجنون" عبر العصور، ثم ينتقل إلى تحليل كيفية نشوء الربط بين الإبداع والاضطراب العقلى فى أذهان المفكرين، خاصة من خلال مفاهيم الأحلام والهلاوس والخيال، التى شكلت أرضية مشتركة بين المجالين الأدبى والطبي. كما يتطرق إلى بعض الأساليب العلاجية القديمة التى استلهمت مظاهر ارتبطت بالإبداع، مثل الخيال والأحلام.

ويتوقف المؤلف عند عدد من الأعمال الأدبية الكبرى التى تجلت فيها صور الاضطراب النفسي، من بينها مسرحيتا «الملك لير» و«هملت» لـ ويليام شكسبير، ورواية «القرين» أو «المثل» لـ فيودور دوستويفسكي، إلى جانب بعض مسرحيات أوغست ستريندبرغ، وأعمال أونوريه دى بلزاك وفرانز كافكا. ويركز التحليل على شخصية المبدع بقدر اهتمامه بالنص، مستفيدًا من مفاهيم الطب النفسى مثل الهلاوس والهذاءات واضطرابات اللغة والوجدان وتفكك الشعور بالواقع، لرصد كيفية توظيف الأدباء لهذه الظواهر فنيًا بعمق ونفاذ.

كما يشير الكتاب إلى أسماء أخرى مثل إدغار آلان بو وجيرار دو نرفال، متناولا توظيف الجنون كأداة لاكتشاف أعماق الذات الإنسانية وكشف تناقضات المجتمع وصراعاته. ويرى المؤلف أن تصوير الاضطراب العقلى فى الأدب لم يكن مجرد رصد لحالة مرضية، بل وسيلة فنية لفهم القلق الإنسانى والتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ويختتم الكتاب بتأكيد تفضيله لمصطلح "المرض النفسي" باعتباره أكثر شمولاً من "الجنون"، إذ يضم مختلف الاضطرابات الشديدة والخفيفة، مع تركيز خاص على الحالات التى بلغت حد الذهان، باعتبارها الأكثر حضورًا فى الجدل حول العلاقة بين الإبداع والاختلال العقلي.

بهذا الإصدار، تعيد الهيئة فتح نقاش معرفى عميق حول حدود العبقرية ومساحات الاختلال، فى عمل يجمع بين التحليل النفسى والرؤية النقدية للأدب العالمي.

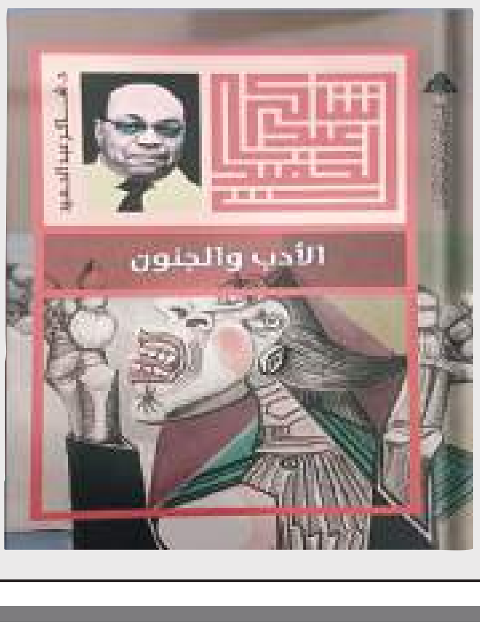

قالت العرب

أَرى كُلَّ حَيٍّ هالِكًا وَابنَ هالِكٍ / وَذا نَسَبٍ في الهالِكينَ عَريقِ
فَقُل لِقَريبِ الدارِ إِنَّكَ ظاعِنٌ / إِلى مَنزِلٍ نائي المَحَلِّ سَحيقِ
إِذا امتَحَنَ الدُنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَت / لَهُ عَن عَدُوٍّ في ثِيابِ صَديقِ

أبو نواس (763م – 813م)

المشهد
العدد 346 – السنة الرابعة عشرة - الأحد 15 فبراير 2026 م - 27 شعبان 1447

"جَمْر الكلام" الذى يضيء الشِعر

بعد غزّة سنرى واقعا مخيفا وصادما وسنقرأ نصوصا معجونة بالدماء

الواقع الفلسطينى يقدم نماذج مذهلة فى عبقريتها وتعبيرها عن روح الجماعة ما جعل القصيدة أقل بهاءً

صدر كتاب جديد للمبدع وحيد تاجا، بعنوان"جمر الكلام"، ضمّ قرابة ثلاثين لقاء، مع عدد من الشعراء والنقاد الفلسطينيين، على اختلاف أجيالهم وتجاربهم، مقدّما حمولة متنوعة، ستساهم، بالضرورة، فى فهم وإضاءة وتفكيك الشعر الفلسطيني، عبر أعوامه الستين الأخيرة.

ومع أنّ الصديق تاجا افتتح كتابه بغير سؤال "ثقيل"، وأشار إلى خلاصات شبه نهائية، إلا أنه دعا القارئ إلى استخلاص الإجابة على تلك الأسئلة، وتبيان صحّة الاستخلاصات، من تضاعيف الإجابات التى قدّمها مَن حاورهم..مع أنّ المقابلات ليست على وتيرة واحدة. وعزاؤه أنه يريد أن يتتبّع الخطّ التاريخى "الكرنولوجي" للشعر، ويُظهر تحوّلاته..فكانت بعض "العيّنات"، على قلّتها، لا تعبّر، بالفعل، عن حقيقة وصفاء وامتلاء نهر الشِعر، الذى خاضه الشعراء المكرّسون بجدارة حاسمة.

إن الشِعر الفلسطينى قد تميّز بأنه ذو خلفيات ومرجعيات كثيرة، بسَبب الشتات مرّة، وبسبب الأيديولوجية مرّة أخرى، وبسبب السياسة أيضاً. ولهذا فإنه ليس نسيجاً واحداً أو تجربة واحدة. فالتحديات المختلفة والقضايا المتعددة التى فرضت نفسها على هذا الشعر، جعلت منه متعددَ الأشكال والأساليب والذروات. ويكادُ لا يَجمَع بين هذا الشعر سوى مقاربته للقضية الوطنية على تفاوت هذه المقاربة.

إن القصيدة التى ولدت فى الأرض المحتلة بعد احتلال العام (١٩٦٧)، كانت بصورة أو بأخرى، قصيدة الجماعة وقصيدة المكان وقصيدة التحريض بشكلها المهم، وبهذا الصدد يمكن القول؛ إن الواقع كان يقدم نماذج مذهلة فى عبقريتها وتعبيرها عن روح الجماعة، الأمر الذى جعل من القصيدة - بشكل عام، تظل أقل بهاءً وحضوراً من النموذج - بمعنى آخر، ليس هناك معادل موضوعى للحياة أبداً، الفن صورة مختصرة، فيها حذف كثير وفيها اقتصاد كثير وفيها تعمّد كثير. وفيما نقدم الحياة نفسها مرة واحدة بكامل التفاصيل مشعلة جميع الأحاسيس، فإن الفن يكتفى من كل ذلك البهاء بإطار واحد يحاول تجميع الصورة الأولى.

وبعد العام (١٩٩٣أوسلو)، وما جرى من زعزعة المفاهيم وموت بعض القديم وميلاد جديد آخر، وتغيّر المزاج واللغة والمصطلح والمرجعيات، وما طرأ على المجتمع الفلسطينى من تغيرات بنيوية، فإن القصيدة الفلسطينية فى الداخل- حيث طعمت بأصوات وتجارب جديدة عليها- واجهت قضايا ومسائل أخرى مختلفة، كان عليها أولا أن تتوازن؛ بمعنى البحث عن لغة جديدة وآفاق جديدة ومرافئ للعودة إليها، وكان عليها أن تردّ، بشكل أو بآخر، على تحديات من نوع ثقافى لم تتعوّد عليه، كالعلاقة مع الآخر، والعلاقة مع السلطة، وكان عليها، أيضاً، أن تقارن نفسها بالتجارب العالمية التى ذهبت بعيداً بالتجربة الشعرية. بعد العام (١٩٩٣) كان هناك مخاض على المستوى السياسى والاجتماعي، والشعري، أيضا.

ما نريد أن نصلَ إليه، هو أن المقاربة النقدية بما تتضمن من عمليات تحليل وتفكيك وتقييم للشِعر الفلسطيني، وخاصة شعر الداخل (الضفة والقطاع والأرض المحتلة العام ١٩٤٨)، يجب أن تكون نابعة من البيئة التى صدر منها هذا الإبداع الشعري، بمعنى أن النقد يجب أن يستخدم ذات المصطلحاتَ وذات المزاج وذات القضايا التى تناولها النص المقارَب.

وعليه فإن المقاربة النقدية لمثل هذا الأدب الخاص، المحكوم بالزمان والمكان والظرف التاريخى والحضاري، يجب أن تنبع من داخله، ومن شروطه، ومن نسقه العام.

إنّ المنهج الخاص، والخاص جداً، الذى نحاول الإمساك به أو الإشارة إلى ملامحه يتمثل فى أبعاده الثلاثة: السيكولوجية، والتاريخية، والسوسيولوجية. هذه الأبعاد التى تضمّها روح الجماعة، حيث تسيطر هذه الروح طيلة الوقت على معظم النتاج الشعرى الفلسطيني، وكأنّها كلمة السرّ فى ذلك النتاج.

المنهج الخاص يعنى فهم الظاهرة من الداخل وليس من الخارج. ولأنّ الإبداع الشعرى الفلسطينى فى الأرض المحتلة، كان إلى هذه الدرجَة خاصاً، ومختلفاً، كان لا بدّ للمنهج النقدى أو يكون، أيضاً، إلى ذلك الحدّ خاصّاً ومختلفاً. وأعتقد أن "الشهادات" التى قدّمها معظم الشعراء والنقاد فى هذا الكتاب، تتماهى مع ما ذهبنا إليه، وتشفع له وتؤكّده.

فالمنجز الشعرى الفلسطيني، وخلال السنوات الأربعين الماضية، التى بدأت متفائلة وانتهت إلى نبرة التساؤل أو التشاؤم، كانت بحقّ خير دليل سوسيولوجى وتاريخى على التحوّلات العميقة التى أصابت البنى الفكرية والثقافية والسياسية فى فلسطين والعالم العربي.

كانٍ شكل القصيدة ولغتها وموسيقاها وصورتها الشعرية تعبيراً عن تغيّر تاريخى بالأساس. هذا التغيّر الذى خلق صورة شعرية هى جزء من رؤية العالم الذى تغيّر، هذا ما حاولنا أَن نتتبعه وأن نلمسه وأن نتذوقه.

ستظلّ فى بالنا مناهج النقد ولكن - بالدرجة نفسها- ينبغى أن تبقى عيوننا وقلوبنا على النصّ.

والآن؛ وبعد هذا العدوان على غزّة، وبعد ما أفرزته نظرية الرّعب الصهيونية من نتائج، وما آلت إليه الحال فى قطاع غزّة..سنرى واقعا جديدا مخيفا وصادما، وسنقرأ نصوصا، وستُكتب أخرى، ستكون معجونة بالدماء والهباء، كما ستكون مطعّمة بالأساطير والحدّة والمفارقات والذهول..ما يجعلنا لا نتعجّل فى إطلاق أيّ حُكم نقدي، لأن ذلك استباقا للحقيقة، على رغم توفّر كمّ كاف من الشواهد الإبداعية، التى تمثّل إرهاصات لظاهرة جديدة فى الأدب الفلسطيني،هى "أدب الحرب"..مع أننى كتبت عن "شعراء غزة، الآن".

وأكرر؛ ما الذى يجعل من إبداع ما.. شعراً؟ علماً أن النقّاد القدماء والمحدّثين قد أشبعوا هذا السؤال أجوبة، جعلت للشعر تعريفات بعدد البشر! إضافة إلى أنهم، قديماً، ميّزوا بين النّظم والشعر، على اعتبار أن الوزن الشعرى لا يكفى وحده لأن يجعل من النّظم شعراً، وعلى أساس أن ثمة عناصر لا بدّ إلاّ أن تتوفر فى "البناء" حتى نشير أليه ب "الشعر".

ومنذ عقود؛ تتباين الآراء حول قصيدة "النثر"، وتتقاطب ما بين معترف بها، بشروط صارمة، وما بين ناظر إليها باعتبارها نصّاً أدبياً لم يرقَ إلى مجد الشعر، لأنها لم تنهض على قوام التفعيلة وبحور الخليل، وكأن الموسيقى هى الشرط الأكبر والأساس لأن تكون هذه الكتابة شعراً! وباعتقادي، فإن قصيدة "النثر" ما زالت تُكابدَ على طريق شرعنة ذاتها، ولم تتوصّل بعد إلى شاطئ يجمع شعث الآراء المتباعدة حولها، حتى وهى تعترف جميعها بهذا النوع من الكتابة، ذلك أن قصيدة النثر لا شكل نهائى لها، ولا حدود لها، حتى اللحظة، إذ نرى هذه القصيدة تتزيّا مرّة ب "الهايكو" أو"القصّ" أو "التدوير"..لتصل إلى "الكُتلة"، وتتكئ كثيراً على أشكال الإبداع الأخرى، وتقدّمه على اعتبار أنه قصيدة "حداثية"، لا يحقّ لناقدٍ أن ينال من شرعيتها، أو من حقّ الشاعر فى أن يذهب عميقاً فى "التجريب"، وكأنه سابق لعصره. مع أنّ الحداثة "موقف"، وليستٍ "زمنا".

إن ضرورة التجريب، والحرية المقترنة، أبدياً، مع الإبداع، تعنى معرفة ووعى أدواتنا التى سنشكّل بها ملامح كتابتنا، ونبنى عوالم إبداعنا، الذى يتغيّا سلامة كلّ خلية ولونٍ وحرف وإيقاع واستطالة، فى سياق الانسجام والتكامل.. ما لم نتجرّأ على أسس واجبة صارمة، هى أرض الكتابة، إلاّ إذا كنّا نقصد "دادائيّة" جديدة، قد لا نعرف دوافعها ومقاصدها، أو نقصد ترجمات يقوم البعض بتحويرها، ثمّ يتبنّاها باعتبارها نصّه الخاص!

وإن الموسيقى فى الشعر ليست إيقاعا فحسب، إنها روح الزمن الذى يصعد إلى المتن، ويعبّر عن اللحظة ويعرّفها.

شكرا جميلا للمبدع الصديق وحيد تاجا على انشغاله بالأدب الفلسطيني، علما أنه سبق وأصدر كتابه المميز"الرواية الفلسطينية - حوارات نقدية"، ليكمل دائرة الضوء على مشهد الأدب، عبر مجترحيه من المبدعين الفلسطينيين.

بقلم: المتوكل طه

هيئة الكتاب تصدر «اللغة المصرية القديمة فى القرآن الكريم»

أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب، كتابًا جديدًا بعنوان «اللغة المصرية القديمة فى القرآن الكريم» للدكتورة هالة محمد عبدون، فى إضافة بحثية جديدة إلى المكتبة القرآنية، تسعى إلى إلقاء الضوء على أحد أوجه الإعجاز اللغوى والتاريخى فى القرآن الكريم.

ويأتى الكتاب فى سياق الاهتمام المتواصل بالدراسات القرآنية التى تناولت وجوه الإعجاز المختلفة، سواء البلاغى أو اللغوى أو العلمى أو التاريخي، حيث حظى القرآن الكريم عبر العصور بعناية واسعة من الباحثين والمفسرين واللغويين، الذين سعوا إلى استكشاف دلالاته ومكنوناته والوقوف على أسرار بيانه.

ويركز هذا العمل على تتبع عدد من الألفاظ القرآنية الواردة فى «غريب القرآن» - وهو أحد علوم القرآن المعتبرة - ومقارنتها بنظائرها فى اللغة المصرية القديمة (القبطية)، باعتبارها من اللغات التى عرفتها المنطقة تاريخيًا، والتى يرى عدد من العلماء أن بعض مفرداتها عُرّبت ودخلت فى الاستعمال العربى قبل نزول القرآن الكريم.

وتعرض المؤلفة نماذج مَن الألفاظ التى نُسبت فى الدراسات التراثية إلى أصول غير عربية، سواء السريانية مثل: الطور، ربانيون، عدن، أو الفارسية مثل: إستبرق، دينار، سندس، زنجبيل، أو غيرها من اللغات القديمة، مستندة فى ذلك إلى آراء عدد من العلماء، من بينهم ابن عباس، وعكرمة، والجواليقي، وابن عطية، والسيوطي، والزركشى وغيرهم.

ويهدف الكتاب إلى بيان أوجه التوافق بين اللفظ القرآنى ونظيره فى اللغة المصرية القديمة، فى إطار دراسة لغوية تاريخية تربط بين المفردات وسياقاتها الحضارية، خاصة ما يتعلق بالأحداث التى جرت على أرض مصر فى زمن النبيين يوسف وموسى عليهما السلام، وفق ما ورد فى النص القرآني.

كما يشير العملٍ إلى أن فك رموز اللغة المصرية القديمة فى مطلع القرن العشرين أتاح آفاقا أوسع للباحثين لإعادة قراءة عدد من المفردات فى ضوء معطيات لغوية وتاريخية حديثة، بما يسهم فى إثراء النقاش العلمى حول التداخل اللغوى فى المنطقة القديمة.

ويُعد الكتاب إضافة نوعية إلى الدراسات التى تتناول الإعجاز اللغوى والتاريخى للقرآن الكريم، ويفتح بابًا جديدًا للبحث والمقارنة بين النص القرآنى واللغات القديمة فى سياق علمى موثق.

نقد أدبى

"شونم".. الحب مفسرا للتاريخ والواقع

"سينوغرافيا النص" تتوقف طويلا أمام المكان فى تكويناته وما ينطوى عليه وكيف منحت تلك التكوينات سمات للشخصية

يبدو "محمود الشناوي" فى روايته "شونم"، الصادرة حديثا ، كسينمائى يحشد كل أدواته ويوظفها بمهارة فائقة، ليُسطّر صفحة من التاريخ العربي، تبدأ أحداثها من العراق، تحديدا من إقليم كوردستان، الذى نبتت من أرضه قصة حب "شيرين" الكوردية، و"يحيي"، المصرى الذى ساقته الأقدار إلى " الإقليم" ليعمل هناك. وعبر قصة الحب التى اختارها الكاتب لتكون مرآته فى كشف ما يظهر على السطح من أحداث تتقاطع معها وتشكل مساراتها، يفكك " الشناوي" هذا الواقع العربى الملتبس؛ ليس من خلال حكايات التاريخ، وإنما من خلال حكايات البشر، فيجعل من الشخصية الرئيسية "شونم" مفتاحا لفهم تلك الأحداث، وهو الذى بدأ روايته بتساؤلات تضرب فى عمق هذا الواقع، وتعكس رغبة قوية فى الفهم الواعى لتلك اللحظة التى ظهرت عليها "شونم" فى ذروة أزمتها، وبحثها عن نقطة بداية تعيد تصويب المسار وفق هذا الوعي، وتستعيد قوة مجدها وعظمة حضارتها تأسيسا عليه.

إن محاولة تفكيك الوضع الراهن الذى تدور من خلاله أحداث رواية "شونم"، والوصول فيه إلى صورة حقيقية يمكن الارتكان إليها فى تأسيس مستقبل قوي، لم تبدأ من اللحظة الحاضرة، التى بدت فيها بطلة الرواية " شونم" على هذه الحالة من الشحوب والتراجع، واختلاط الصور فى ذاكرتها، بل لجأ إلى زحزحة الزمن قليلا للخلف، ليتح رؤية أفضل لتلك التفاصيل؛ فمن خلال تقنية " استرجاع الماضى Flash back" فى حديث "شونم" مع الدكتور "إياد"، وتماهى الأخير مع صيغة الحكى فى "ألف ليلة وليلة" كإطار لتلك العودة إلى الماضى الذى يفسر لحظة الحاضر، نجد الكاتب يوظف هذا الإطار "الألف ليلي" فى صياغاته الفنية؛ فصيغة "احكى لى يا شونم"، لا تتناص فقط مع هذا الشكل التراثى الذى اعتمدته الحكايات الشهيرة فى "ألف ليلة وليلة"، وإنما كانت حيلة فنية، استطاع من خلالها "محمود الشناوي" أن يستعيد صفحات هذا التاريخ القريب، الذى تتعدد أقنعته فى العصر الراهن، ولكن انتماءاته تعود لجذور واحدة، وإن تعددت الأماكن التى تتشكل على ساحتها؛ فاختيار الأماكن لديه لم يكن اختيارا مجانيا، كما أن تقديمها للقارئ لم يكن خاليا من الحياة، بل يؤكد الحياة فيها تلك التناقضات التى تجمعها مع الموت فى نسيج واحد، وكأن فهم أحدهما لا يأتى بمعزل عن فهم الآخر.

غير أن أهم ما يميز الشخصيات الروائية التى اختارها "محمود الشناوي"، ليست تلك العلاقات التى تربطها بشكل ظاهر فحسب، وإنما تلك القضايا التى تتعلق بوجودها، ومن ثم وجود الأوطان بكاملها؛ لذا فإن "سينوغرافيا النص" لديه، تتوقف طويلا أمام المكان فى تكويناته وما ينطوى عليه، وكيف منحت تلك التكوينات سمات واضحة للشخصية، ترسم مواقفها، وتشكل عنصرا حاسما فى تطور الأحداث وتحول مساراتها. إن "اقليم كوردستان " الذى كان منطلقا للحكى فى رواية " شونم"، كان أيضا ساحة لثقافة تشكلت من خلاله وطبعت أشخاصها، وحددت مسارات الشخصية فيه؛ فشخصية " شيرين"، الأم التى تنتمى لها "شونم"، كانت النافذة الرحبة التى يطل منها الكاتب - مع قارئه - على عادات وثقافة الأكراد، وما تنطوى عليه هذه الثقافة من جذور متأصلة فى سلوكياتهم، وعلاقاتهم داخل المجتمعات التى ينتمون إليها، وهى فى الوقت ذاته وسيلة من وسائل الفهم التى يدخل بها إلى أعماق الشخصيات، ويحدد بؤر التوتر فيها. لذا، فإن الكاتب، وعبر ستة عشر مشهد سينمائي، هى قوام فصول روايته، منح كل واحد فيه عنوانا فرعيا، يختزل تفاصيل الأحداث ويؤكدها، ويقدم الشخصية شاهدا حيا على تلك الأحداث؛ فبدءا من "الغزو العراقى للكويت"،

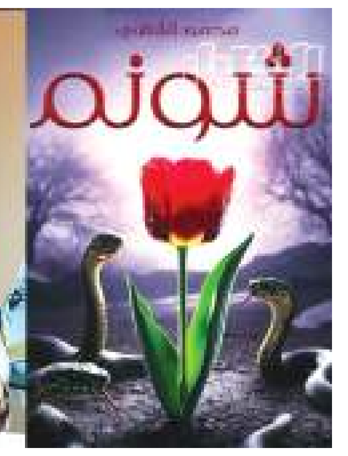

تبدأ الشخصيات فى رحلة تحولات لا تكشفها الأماكن فقط فى تبدلها، بل أيضا تحول العلاقات على ساحة تلك الأماكن؛ فـ" شيرين"، وزوجها المصرى "يحيي"، بعد تباعد مع أهلها، حكمته التقاليد الكوردية، التى لا تقبل بزواج خارج انتمائها، وخروجه من "إقليم كوردستان" إلى إحدى القرى العراقية الفقيرة " البتاويين"، ومنها إلى "القاهرة" مرورا بالأردن بعد حرب الخليج الثانية، يتعرضان لموجة من تبدل العلاقات مع الدوائر المقربة، تطغى عليها المادة حينا؛ على نحو نراه فى "زوج أخته" الذى يعمل فى إقليم كوردستان، ويقطع علاقته به على إثر تهديد يلوح فى الأفق وينال من مكاسبه المتحققه بفعل تجاوز "يحيي" لتلك التقاليد التى ترفض زواجه من "شيرين"، ثم نراه أيضا فى علاقته بإخوته فى "رشيد"، إحدى مدن الدلتا، حين طمعوا فى ثروته التى كونها على مدار سنوات عمله فى العراق، أو كان هذا التبدل بفعل الحروب وموجات العنف التى رأيناها مع "حرب الخليج الثانية"، أو فى أحداث "كرداسة" عقب رحيل نظام، وتحول المجتمع المصرى إلى حالة سيولة، لم يكن من السهل السيطرة عليها.

شخصيات الشناوى كأماكنه

شخصيات "محمود الشناوي" الروائية، مثل أماكنه، لا تقف معزولة عن السياق الزمنى للأحداث، ولا تلك التبدلات التى تطرأ على علاقتها، وصياغتها على هذا النحو ترتبط برمزيات أكبر وأكثر اتساعا فى دلالتها؛ فالقطيعة التى مُنى بها "يحيي" مع حبيبته "شيرين" فى كوردستان" على خلفية التقاليد التى تقف حجر عثرة فى طريق هذا الزواج، هى نفسها القطيعة التى تكررت معه فى بلده " رشيد" من إخوته، الذين تخلوا عن إرث النخوة والشهامة والكرم التى غرست بذرتها الأم منذ الصبا. وقرية "البتاوين" العراقية، التى بدأت فيها رحلة كفاح للاثنين معا، كانت المقابل المكانى لـ" كرداسة"، التابعة لمحافظة الجيزة، بما جسدته من معانى سعى حقيقى على لقمة العيش، وبما طالها من أحداث عنف حركته الأفكار الضالة، التى تتخذ من الدين ونصرته ستارا، بينما الأهواء والمصالح الشخصية وشهوة الانتقام هى الخيوط التى تحركها من خلف الستار، وكلاهما: المكان والشخصية رمزان لمعنى أكبر؛ المكان فى إشارته للوطن، سواء كان العراق أو مصر أو غيره من الدول العربية التى تتعرض لموجات عنف تتحد فى جذورها، وتختلف فى الأقنعة التى ترتديها. والشخصية، التى تحيل إلى هذا الإنسان الذى يؤمن بمقدرات وطنه، ويدافع عنه وإن كلفه الدفاع حياته.

لقد كان المكان أداة كشف قوية عن جذور الأزمة الإنسانية فى الوطن العربي، بمثل ما كانت الشخصية أداة وعى حقيقى بطبيعة تلك الأحداث التى تشكل الأزمة، ومن خلال "الحب" كباعث لحركة الشخصية وموجه لها، استطاع الكاتب، أن يكشف عن جذور الكراهية والتعصب، التى تدمر الأوطان، وتنال من مقوماتها، وينزع الزيف عن كثير من الشعارات المعلنة، بينما باطنها الهلاك والخراب والدمار. وإذا كانت الشخصيات والأماكن فى المتن الروائى قد استطاعت أن تحقق هدف الكاتب فى تفكيك مفردات المشهد الروائى الراهن، وإعادة صياغته وفق فهم حققه بوسائل فنية اعتمدت تقنيات سينمائية بالدرجة الأولى عبر توظيف اللقطة القريبة، وأخرى بانورامية تضع كل التفاصيل فى مرمى عين القارئ، فإن اللغة التى استخدمها فى صياغة تلك المشاهد والتنويع فى التقنيات المستخدمة لتوضيح محتواها، كانت ذات فرادة من حيث استيعابها للموروث الثقافى الذى تعبر عنه الأماكن، ومن حيث ارتباطها بالمكان والدلالة على أحداثه، بل وفى تشكيل صورة الحروب وما تعكسه أحداث العنف على صفحة المجتمع والشخصيات التى تحيا داخله، فنراه يوصف حالة الفقر الشديد التى ألمت بقرية "البتاويين" العراقية، بعد حرب الخليج الثانية بقوله: " على وقع أيام الجوع، ثمة ذل يرتسم فى عيون مسن ضعيف، امرأة عاجزة، طفل يتيم، فقير محتاج، أرملة يائسة، ضغوط نفسية هائلة تبدأ من الإحساس بالعزلة، ولا تنتهى باليأس". وفى ذكر مقابلها المكانى فى القاهرة، يصف مدينة "كرداسة" قائلا: "صارت شوارع تلك المدينة وقراها عنوانا لشريط من المعاناة، مسرحا للامعقول من الوقائع تحركها دمى، تعبث بها أيادى غدر وثأر، امتزج فيها الحابل بالنابل".

نحن إذن، أمام وثيقة فنية وأدبية، استطاعت أن تمزج مقادير الواقع واللحظة الراهنة مع جذور تاريخية، تكشف وتفسر الواقع الاجتماعى الذى تعيشه الشخصية، وهذه الجذور التاريخية ليست مغرقة فى بعدها؛ فذاكرة إنسان هذا العصر لازالت تحملها، فقط الصور مختلطة، وبدايات فهمها متشابكة، على النحو الذى ظهرت فيه "شونم" فى بداية الرواية، أما الدكتور"إياد"، فإنه المؤمن بالقضية، الذى يعالج الأمور بحكمة، ويعيد ترتيب الأوراق، كى تستعيد "شونم" وطنها، أو يستعيد القارئ وطنه فيها.

قراءة: د. سميرة أبو طالب

بقلم: صبري الموجي
مدير تحرير الأهرام

«خِراش» والظِّباء العجاف !

يتسلّل إليّ اليأسُ بين الحين والحين من الكتابة، خاصة بعدما صارت مهنة بلا عائد، وتسوّر محرابها كلُّ من «هبّ ودبّ»، فأتخمت المكتباتُ بعناوين كثيرة، اختلط فيها الحابل بالنابل، ونافس الغثُ السمين، وضحية ذلك هو القارئ المسكين.

من طريف ما قرأتُ أنّه قديما، خرج (خراش) للصيد يوما، فكثرت أمامَه الظّباء، فاحتارَ أشدّ الحيرة، إلى أيّها يوجّه سهمه، وكلّها صيودٌ ثمينة، فقال مثله المشهور: « تكاثرت الظّباءُ على خراش، فلا يدرى خراش ما يصيد ». أمّا اليوم فنتاجُ المكتبات، صار كحال إبلٍ مائة، لا تجد فيها راحلة، فحُمّى الكتابة أصابت الكل، وتملكتهم لوثةُ الإبداع، فتطلع من لا يفرّق بين (الألف من كوز الذرة)؛ ليُنادَى بالمفكّر والكاتب والأديب، ولا عزاء للقرّاء.

إنّ كثيرا من العناوين الفارغة، التى تنوء بحملها أرففُ المكتبات، تقول للغيورين على تلك المهنة: «موتوا بغيظكم !».

طبعتْ مؤخرا عناوينُ كثيرة وفجّة، كُتبت بمداد أقلام صدئة، لم يرد أصحابُها إلا الصيد فى الماء العكر، واستغلوا نفوذ المال فى غرس أنفسهم «طوعا أو كرها» فى دنيا الفكر والإبداع، وتلك طامة الطوام . طامة، لأنّها عناوين بلا محتوى، يرنو أصحابها بناظريهم إلى (الشو) على حساب المضمون والمحتوى، أو يُخدّموا على فكرة مغلوطة، ولهم من وراء ذلك مآربُ أخرى .

إنّ الكتابة . يا سادة . أمانة، سيُسأل عنها العبدُ يوم القيامة؛ لأنّ الكلمة باقية، حتى وإن رحل صاحبها، ولله درُّ الشافعي:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى / ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء / يسرُّك فى القيامة أن تراه

لم أقصد من مقالى أبدا كاتبا بعينه؛ حتى لا يضرب القارئ «أخماسا فى أسداس»، أو يخمّن ويطرح أسماء بعينها، ولكنّى أناقش قضية عامَة، وأزمة، شارك فى افتعالها الكتّاب (المزيّفون)، ودور النشر اللاهثة وراء الربح، فى ظلّ صمت مُريب من المسئولين عن الثقافة، واتحاد الكتاب. بيد أنّه يجب عليهما وضع قواعد صارمة، تضبط صناعة النشر، وتُغلق الباب على كلّ سمج لزج، يسعى . بليل ونهار . ليشتَرى لقب كاتب ومفكر بـ(فلوسه)، وعلى المعترض أن يضرب دماغه فى الحائط .

أتـردّد كثيرا على زملاء بالأقسام الثقافية بالأهرام، وغيرها من بينهم . عمنا الكبير أسامة الرحيمى أروع محرر ثقافى التقيتُه، فأجد على أرفف مكتبته عناوين لا حصر لها، وقلما أظفر بعنوان، يسمن أو يُغنى من جوع، فأعضّ بأسنانى على شفتى السفلى غيظا، سائلا الله أن يخلصنا مما نحن فيه من غم !

وأخيرا أقول: رغم قلة الكتاب المطبوع بالأمس، إلا أنّه كان هناك مثقفون حقيقيون؛ لأنّه كان هناك إخلاصٌ للفن، واحترامٌ لعقلية القارئ . أمّا اليوم فالكل (يهبد)، وعلى المتضرر اللجوء للقضاء أو الموت كمدا !

المشهد

تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 346 – السنة الرابعة عشرة - الأحد 15 فبراير 2026 م - 27 شعبان 1447 هـ

سيادة وطن.. وحدود ضيافة

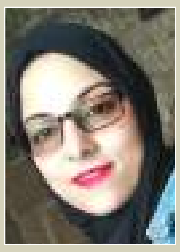

بقلم: إيمان جمعة

شيء من الضيق يتسلل لنفوس الشعب المصري، عندما يرى من فتح لهم بيوته وأرضه، وآواهم فى الوقت الذى استضافتهم دول العالم فى خيام لا آدمية، يهاجمون مصر لمجرد أنها قررت تطبيق القانون، وكأننا مطالبون بالاعتذار عن حماية حدودنا وترحيل المخالفين!

مصر، بحكم الجغرافيا والتاريخ، لم تكن يومًا دولة مغلقة فى وجه من يلجأ إليها وقت الأزمات، استقبلت مئات الآلاف من اللاجئين، فتحت لهم أبواب العمل والتعليم والعلاج دون تعقيدات تُذكر مقارنة بدول أخرى عاملتهم كمجرد أرقام، لكن يبدو أن البعض اعتبر هذا الكرم حق دائم غير مشروط، وأن الأرض أصبحت أرضه لا خروج منها ولا عودة لبلادهم مرة أخرى حتى لو تحسنت ظروفها.

مصر، بحكم الجغرافيا والتاريخ، لم تكن يومًا دولة مغلقة فى وجه من يلجأ إليها

اللافت أن الأصوات المرتفعة فى الهجوم على مصر، تتجاهل حقيقة أن دولا كثيرة تطبق إجراءات أشد صرامة من مصر، دون أن تُتهم بالقسوة أو العنصرية، بينما يُراد من مصر وحدها أن تبقى فى موقف الاستثناء الدائم، وأن تتحمل ما لا تتحمله دول أغنى منها بكثير، فمثلا فى دول مثل ألمانيا وكندا وتركيا، القوانين صارمة وواضحة ولا يمكن لأى مقيم ولا لاجئ مخالفتها، حتى دول الخليج لا تجد فيها سوريا واحدا يستطيع أن يتفوّه بكلمة تجاه الدولة التى يقيم فيها، فلماذا عند مصر تحول الأمر إلى حملات ضغط على الدولة أو تشكيك فى حقها السيادي؟

أتحفونا أنهم "موجودون فى مصر بقروشهم ويفتحون اقتصادها"، وحين جاء وقت الترحيل للمخالفين، فجأة أصبح السورى والسودانى لا يملك ثمن تذكرة العودة لبلاده، وتصدّرت الشائعات والأكاذيب المشهد، حول اعتقالات وترحيل تعسفى خاصة ضد السودانيين، وأصبحت مصر هى الشرير فى رواياتهم!

فى عالم اليوم، لم تعد مسألة الهجرة والإقامة شأنًا هامشيًا، بل أصبح من صميم الأمن القومى والإدارة الاقتصادية لأى دولة، فكل دولة تضع قوانين تحدد من يدخل أراضيها، وكم يبقى، وتحت أى شروط يرحل، هذه ليست قسوة، بل تعريف بسيط لمعنى الدولة ذات السيادة.

حين تطبق مصر قوانين الإقامة على المخالفين؛ هى لا تبتدع شيئًا جديدًا، بل تمارس حقها مثل باقى دول العالم، الجديد فقط أن القرار حين يصدر من مصر يُقابل بضجيج واعتراضات وكأن الأمر استهداف أو تضييق لا تطبيق للقانون.

تعلّمنا من موقفنا مع اللاجئين السوريين والسودانيين تحديدًا؛ أن الكرم الزائد رُبما يُقابل باستحقاقية، والاستضافة والترحاب أحيانًا يُترجم إلى حق مكتسب، وأن البعض قد ينظر إليك أنك ضعيف لمجرد أنك تعاملت معه باحترام بالغ لم يره من شعوب أخرى، وأنك ظالم ومتجبّر لمجرد أنك قررت تطبيق القانون!

مهما علت حملات التشويه، سيبقى التاريخ شاهدًا على أن مصر آوت حين ضاقت الأوطان، وساعدت حين أدار الآخرون ظهورهم، وسيبقى اليقين أن الكريم إذا أكرمته.. ملكته.

يناير: الثورة التى كشفتنا

بقلم: محمد حماد

مشكلتى وأحسبها مشكلة كل من يقرأ التاريخ أو يحاول أن يفهمه خارج انفعال اللحظة. أننى كلما أردت الكتابة عن يناير ٢٠١١، وجدتنى مضطرًا إلى الكتابة عن ثورة الشعب المصرى عبر قرنين من الزمان، وربما أكثر.

كأن يناير لم تكن واقعة قائمة بذاتها، بل ثمرة شجرة قديمة، جذورها ضاربة فى تاريخ طويل من الصراع مع السلطة، ومع الظلم، ومع فكرة الحاكم الفرد.

قبل الحملة الفرنسية بسنوات، وفى عام ١٧٩٥، ثار المصريون ضد تعسف المماليك وظلمهم ومكوسهم وسيطرتهم على الحياة المدنية، وقاد علماء الأزهر تلك الثورة الشعبية، واضعين للمرة الأولى مبادئ حاكمة للعلاقة بين الحاكم والمحكوم: ألا تُفرض ضرائب جديدة إلا بموافقة علماء الأمة ونوابها، وأن يُسحب العسكر إلى ثكناتهم، وأن تُرفع المظالم وتتحقق العدالة. لم تكن تلك ثورة جوع فحسب، بل ثورة وعى مبكر بفكرة العقد الاجتماعى وحدود السلطة.

منذ ذلك التاريخ، ظل نضال الشعب المصرى يحمل عنوانين ثابتين: مقاومة طغيان الحكام، ورفض الظلم الاجتماعي. ثم أضيف إليهما عنوان ثالث بعد الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢: الاستقلال الوطني.

وبعد الجلاء، لم تنته المعركة، بل عادت فى صورة أخرى؛ نضال من أجل الدستور، والعدالة، والكرامة الإنسانية.

سلسلة من الثورات الكبرى تتخللها انتفاضات أصغر، لكن الهدف ظل واحدًا: الانعتاق من قبضة الحاكم الفرد، مهما تغيّر اسمه أو تبدّل خطابه.

فى يوم ٢٨ يناير ٢٠١١، حين واجه المصريون طغيان السلطة بأجسادهم العارية وأصواتهم العالية، كان قرنان من الزمان يطلان من شرفة التاريخ.

لم تكن الثورة قطيعة مع الماضي، بل امتدادًا له.

جيلا بعد جيل، يعود السؤال نفسه فى صور مختلفة: إلى متى؟ وبأى كلفة؟ وبأى أفق؟ غير أن ما أربك الوعي، وأربك أى محاولة للفهم، لم يكن سقوط رأس النظام، بل ما تلاه.

بعد نشوة الشعور بأننا أمسكنا بالمستقبل، صحونا فجأة على كابوس ثقيل. بدا وكأن التاريخ، الذى ظنناه سندًا، قرر أن يضعنا أمام امتحان لم نستعد له.

كيف يمكن تفسير حنين البعض اليوم إلى ثلاثين سنة من الجمود والقهر والفساد والقمع، والدفاع عنها كأنها كانت زمن رخاء وكرامة؟ كيف يُعاد تلميع الاستبداد بوصفه استقرارًا؟

هنا يتجاوز السؤال السياسة ليصير سؤالا مجتمعيا: من نحن؟ وماذا نريد؟ ولماذا نعجز، كمجتمع، عن إنتاج إجابة مشتركة، أو حتى حدٍّ أدنى من التوافق؟

قمنا بثورة بلا تخطيط مسبق، نعم، لكنها نجحت لأن معادلة القهر والاستبداد والظلم تجاوزت كل قدرة على الاحتمال.

غير أن هذا النجاح أدخلنا سريعًا فى دوامة من البدايات الجديدة، وتفاعلات متداخلة، وصراعات لم نكن مستعدين لها.

للمرة الأولى نشارك فعليًا فى كتابة دستورنا، وللمرة الأولى ننتخب رئيسنا. راودنا حلم أن يكون الشعب هو مصدر كل سلطة، يُسترضى ولا يُقهر، وتُحترم إرادته لا يُلتف عليها.

لكننا، فى الواقع، رسبنا فى امتحانات الإرادة. فى التعديلات الدستورية، ثم فى انتخابات البرلمان، ثم فى الامتحان الأكبر: انتخاب الرئيس.

تعددت الإرادات بتعدد المصالح، وظهرت الأهداف الخفية، وتنازلنا عن البرامج الواضحة مقابل الرموز، وعن التفاصيل مقابل العاطفة.

وجدنا أنفسنا بين خيارين أحلاهما مر، فُرض المر علينا، ومع كل خطوة ازداد الانقسام، حتى صار الشعب الواحد شعوبًا متعددة، ترى الخلاف قبل أن ترى المشتركات، وتسمع لغة الإقصاء قبل لغة الوطن.

ثم عاد وجه الاستبداد القبيح، وعاد الفساد يمارس هوايته القديمة فى نهش لحم البلد. الغلاء يطحن المواطن، القهر يتضاعف، وفئات اجتماعية باتت أفقر مما كانت عليه، فيما يتآكل الأمل ببطء، ويترك خلفه فراغًا خطِرًا، قابلًا للانفجار فى أى لحظة.

لماذا، بعد أن شببنا عن الطوق، وبعد أن أسقطنا المستبد، نعود أدراجنا إلى طفولة سياسية ثانية؟ لماذا ينتكس شعب قدّم الشهداء والمصابين إلى النوم فى أحضان الديكتاتور، كأن الاستبداد قدر لا فكاك منه؟

هنا، يتراجع الحدث إلى الخلف، ويتقدّم السؤال: ماذا فعلت بنا يناير، لا ماذا فعلنا نحن بها؟

لا تعود يناير، عند هذه النقطة، واقعة تبحث عن حكم أخلاقي، ولا ذكرى تُستدعى للاحتفال أو للندم، بل تتحول إلى مرآة كبرى كشفت المجتمع أكثر مما أسقطت النظام. فالمأزق الذى واجهناه لم يكن مأزق سلطة فقط، بل مأزق وعي، وبنية اجتماعية لم تنضج بعد لتحمل كلفة التحول.

إن محاولة فهم يناير تقتضى الاعتراف بأنها لم تكن انفصالًا عن التاريخ، بل ذروة لمسار طويل من الصراع بين مجتمع يثور كلما ضاقت به سبل العيش والكرامة، ودولة تعيد إنتاج منطقها السلطوى مهما تغيّرت الوجوه.

صراع لم يُحسم يومًا، بل ظل مؤجلًا، يتبدّل شكله، ويعيد طرح الأسئلة ذاتها حول السلطة، والخوف، والشرعية، ومعنى السياسة.

ولهذا، فإن أى كتابة جادة عن يناير لا يمكن أن تكتفى بتوثيق الأيام أو تعداد الأخطاء أو توزيع الاتهامات، بل تحتاج إلى مشروع معرفة متكامل؛ يقرأ التاريخ بوصفه بنية لا حكاية، ويفكك المجتمع بوصفه فاعلًا مترددًا لا ضحية بريئة، ويفهم السياسة بوصفها ممارسة طويلة النفس، لا لحظة احتجاج عابرة.

ليس الهدف من هذا كله اجترار لهزيمة لم تقع، بل حماية المستقبل من إعادة إنتاجها.

المسألة لم تكن يومًا فى غياب الرغبة فى التغيير، بل فى غياب الشروط الاجتماعية والسياسية التى تحميه وتحوله من فعل احتجاجى إلى مسار تاريخى مستدام.

الحرية، كما كشفت يناير، ليست لحظة بطولة، بل مسؤولية ثقيلة، لا يقوى عليها مجتمع لم يحسم بعد علاقته بالخوف، ولا بالدولة، ولا بنفسه.

وهكذا تبقى يناير، لا فشلًا ولا انتصارًا، بل إنذارًا مبكرًا. ثورة كشفتنا، قبل أن تغيّرنا، وتركت لنا سؤالًا مفتوحًا، لا فى الذاكرة وحدها، بل فى المستقبل:

هل نملك الشجاعة لا لأن نثور من جديد، بل لأن نفهم أنفسنا أولًا؟

رمضان بين الفولكلورية والرهبانية

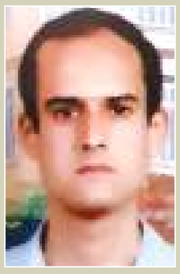

بقلم: محمد زين العابدين

لو أخبرتك أن أحد رهبان الصحارى، المنقطعين فى القلالى، الزاهدين فيما عند الأناسى قد رآه أهل ملته فى نسكه وتبتله، وشظف عيشه وخشونته، فأشفقوا عليه الحرمان، واجتناب الطيبات والملذات، فذهبوا إليه يعرضون عليه ما يرفه عنه، فجاءه بعضهم بطبق وجعله فوق قلايته ليستقبل له قنوات الترفيه، وأتاه آخر بفرقة من راقصى التنورة وغير التنورة ليروحوا عنه، وانتحى ثالثهم ناحية فأوقد نارا وصنع شواء وأنضج طعاما مختلفا ألوانه، وقام عنده رابعهم يشعل الفحم ويرص له أحجار الشيشة ليعتدل مزاجه، ثم قالوا له إنهم لم يفعلوا ذلك إلا ليقوى على عبادته، وليُقبل على رهبانيته أشد وأنشط مما كان، فهل كنت تراهم عقلاء فيما صنعوا؟! ثم ماذا لو أخبرتك أن هذا الراهب قد قبل هذه الإكرامات والعَطايا منهم، هل كنت ستراه مخلصا لدينه ومذهبه الذى تديّن به أم كنت تراه قد خرج من رهبانيته التى ألزم نفسه بها؟! ولئن كان القارئ الكريم يعجب لهذا المثل الذى ضربته، ولا يكاد يتوهم وقوعه من عقلاء، ولا يكاد يتوهم قبوله من رهبان، فإنى أقول له: بل هو حدث معتاد الوقوع، ولكثرته فقد ألفناه حتى لم نعد ننكره أو نعجب له، فهذا شهر رمضان، انظر إلى استقبالنا إياه كل عام: أسواق تنصب، ومقاه تُبسَط، وخيام تنشر، ومأكولات مخصوصة تصنع، وأغان تصدَح، فإذا سألت عن هذا "الفولكلور" قيل لك: "تقليد رمضان، وكل عام أنت بالخير"!

رمضان شهر «رهبنة إسلامية سمحة» لا شهر «فولكلور شعبى»

يا إخواننا، إن رمضان هذا الذى نحتفى به بمجالس اللهو والسمر، وبالشيشات والأنس والخيام الرمضانية، وبالتوسع فى صنوف المأكولات والمشروبات– رمضان هذا ليس يعدو شهر "رهبنة إسلامية سمحة" لا شهر "فولكلور شعبى" فإن صيام شهر رمضان هو ركن من أركان الإسلام الخمسة، وأنت فى رمضان تصوم فتمتنع نصف يومك عن الطعام والشراب والشهوة فرضًا، ونصف يومك الآخر تتهجد فيه لله تطوعا، فليس لك فيه غير أكلتان فى يومك؛ لتقيمان أودك لا لإثقال بدنك، وأنت فيما بين صيام النهار وقيام الليل واعتكاف العشر تراقب ربك، وتسعى فى مرضاته، وتجتهد أن تؤدى عملك على الوجه الأكمل، وتجتهد أن تعين المحتاجين بما ينفعهم، وتجتهد فى مغالبة جوارحك لتلتزم الصوم عن المعاصى وتتقرب بالطاعات، وتجتنب فيه فضول الكلام، وفضول السمع، وفضول النظر، وتُقبل على ما ينفعك من تلاوة، وذكر، وكلم طيب، أو تصمت صمت السالمين، فهل هذه إلا أعمال الرهبنة؟! فكيف استبدلنا "الفولكلور" بها؟! إن كل عمل من أعمال "الفولكلور" ندخله على رمضان باسم الابتهاج، أو الترويح، أو التسلية يختلس جزءا من "معنى الشهر"، ثم جزءا فجزءا حتى يكاد "معنى الشهر" أن يذهب، فلا يتبقى إلا "موسم فولكلورى" تتخلله ساعات صيام، والسلام!

mohammedzein110@gmail.com

ترجمة لحلم نبيل .. افتتاح مستشفى ٢٥ يناير بالشبراوين بحضور محافظ الشرقية ووزراء ومشاهير

محمد الجارحى مؤسس المشروع: لولا ثورة ٢٥ يناير، ما كنت لأمتلك الجرأة على أن أحلم بهذا الحلم

افتتاح مستشفى ٢٥ يناير بحضور حازم الأشموني محافظ الشرقية

مبنى المستشفى

فى يوم مشحون بالأمل والبهجة شارك محافظ الشرقية المهندس حازم الأشمونى فى حضور عشرات من الوزراء والمسؤولين السابقين ونقباء الصحفيين والمهندسين والأطباء وإعلاميين وكتاب كبار فى افتتاح مستشفى ٢٥ يناير بقرية الشبراوين مركز ههيا بمحافظة الشرقية.

أقيم المستشفى بالجهود الذاتية التى قادها وأشرف عليها محمد الجارحى وكيل نقابة الصحفيين للرعاية الصحية، وذلك لتقديم خدمات طبية متكاملة بالمجان لأهالى القرية والقرى المجاورة تحت إشراف وزارة التضامن الاجتماعي. وتضم المستشفى أقسام الطوارئ، الرعاية المركزة، حضانات الأطفال، وغرف العمليات،وهو مشتشفى مجهز بأحدث الأجهزة والتقنيات الطبية، مع إمكانية التوسع المستقبلى بمبنى ثان لتلبية احتياجات المواطنين، وتقدم المؤسسة القائمة علىَ المستشفى أيضًا مساعدات اجتماعية، خدمات ثقافية وعلمية، ورعاية الطفولة والأمومة، ودعم ذوى الهمم، ضمن منظومة متكاملة لتنمية المجتمع المحلي.

كان على رأس الحضور د. زياد بهاء الدين نائب رئيس الوزراء الأسبق والأمين العام للمؤسسة – د. عمرو حلمى وزير الصحة الأسبق – الدكتورة مها الرباط رئيس مجلس أمناء المؤسسة ووزيرة الصحة والسكان الأسبق، ومحمد الجارحى المؤسس ونائب رئيس مجلس الأمناء ووكيل نقابة الصحفيين، واحمد جمال المدير التنفيذى للمؤسسة، والدكتور أحمد البيلى وكيل وزارة الصحة بالشرقية، والدكتور محمد صالح مدير عام المستشفى، وأيمن هيكل رئيس مركز ومدينة ههيا، إلى جانب عدد من ممثلى رجال الدين الإسلامى والمسيحي، وأعضاء مجلسى النواب والشيوخ، ونقباء الأطباء والمهندسين والصحفيين والإعلاميين. وعدد من مشاهير الإعلاميين والكتاب والمحامين بينهم عمرو الشوبكى – شريف عامر – جابر القرموطى – طارق العوضى – هشام يونس – محمود الشربينى – إبراهيم منصور – إيمان عوف – عصام الشريف – مجدى شندي.

بدأت الاحتفالية بعزف السلام الجمهوري، أعقبه تلاوة آيات من الذكر الحكيم، ثم عرض فيلم وثائقى بعنوان «أصل الحكاية» استعرض رحلة إنشاء المستشفى وأقسامه المختلفة، والتى تشمل: الطوارئ، والرعاية المركزة، وحضانات الأطفال، وغرف العمليات، إلى جانب تجهيزها بأحدث التقنيات الطبية، بما يضمن تقديم رعاية صحية تليق بأبناء محافظة الشرقية.

وخلال كلمته، أعرب محمد الجارحى المؤسس ونائب رئيس مجلس الأمناء ووكيل نقابة الصحفيين،عن فخره بتحويل الحلم إلى واقع، موضحاً أن مؤسسة ٢٥ يناير مؤسسة غير هادفة للربح، مشهرة مركزياً بالإدارة المركزية للجمعيات والمؤسسات بوزارة التضامن الاجتماعى برقم ٧٩٦ لسنة ٢٠١٧، ويرتكز نشاطها على إنشاء المستشفيات والمراكز الطبية والعيادات المتخصصة، والمساهمة فى تطويرها ومتابعتها، فضلاً عن تقديم الخدمات الطبية بالمجان للأسر الأولى بالرعاية. وأضاف أن المؤسسة تقدم كذلك خدمات صحية ومساعدات اجتماعية وخدمات ثقافية وعلمية، إلى جانب رعاية الطفولة والأمومة، وتنظيم الأسرة، ودعم ذوى الهمم، وتنمية المجتمعات المحلية وتعزيز التنمية الاقتصادية.

وأوضح الجارحى أنه تم بدء التشغيل التجريبى للمستشفى فى ٥ مايو ٢٠٢٥ بشكل تدريجي، وصولا إلى التشغيل الكامل لكافة الأقسام، وكذلك البدء فى تنفيذ المبنى الثانى لزيادة الطاقة الاستيعابية للمستشفى.

وقال الجارحى فى كلمة مشخونة بالمشاعر: يقولون إن "من رحم الألم يولد الأمل"، واليوم، ونحن نقف هنا، لا أرى أمامى جدرانَ قاعة أو خلفى شاشة، بل أرى أرواحاً، وذكريات، ومعارك، وانتصارات.. أقف أمامكم اليوم لا بصفتي مؤسسًا، بل بصفتى إنسانًا، بصفتى ابن من أبنائكم، تعلّم من الألم كيف يصنع الأمل، ومن الفقد كيف تولد الحياة.. إنسانًا عاش كل الاختبارات فواجهها بالحلم والصبر والأمل والعمل.

وأضاف الجارحي: لولا ثورة ٢٥ يناير، ما كنت لأمتلك الجرأة على أن أحلم بهذا الحلم، ولا كنت لأتعلم أن الحلم مسؤولية. بعد الـ ١٨ يوم، وفى مثل هذه الأيام، فى فبراير ٢٠١١، عدت من ميدان التحرير إلى هنا، إلى قريتى الشبراوين، وبعد أسبوع واحد فقط من التنحي، كانت الشبراوين من أوائل القرى التى احتفلت بالثورة. يومها لم نرفع لافتات نصر أو فرح فقط، بل رفعنا عهداً. إيد فى إيد نبنى بلدنا من جديد.. قلنا: إذا كانت الثورة قد حرّرت الإرادة، فعلينا أن نحرّر الواقع. وبعدما تبدلت الأحوال وجرى تشويه الحلم والتجربة، اقترح البعض أن نغير الاسم، فتمسّكنا به. لأن الأمم التى تخجل من أحلامها، تموت واقفة.

وأضاف : حينما توفى ابنى البكر بكيت وحزنت وكان يمكن أن أنهار. أن أستسلم. لكننى أدركت أن الألم إذا لم نحوله إلى رسالة، تحوّل إلى هزيمة. بعد أسبوعين فقط، وفى يوم ٢٠١١/١١/١١، يوم ميلاد أحمد، كان مقررًا أن نفتتح عيادة واحدة فى مقر الجمعية القديم، لكن يتغير القدر فى ٤٨ ساعة وافتتحنا مركزًا طبيًا بسيطا فى شقة متواضعة بجانب مسجد الحاج صلاح النجار. لم يكن لدينا إلا تسعة أطباء، وأجهزة قليلة، وحلم كبير. نشرت صور المركز واحتياجاته على تويتر، فجاء أول تبرع بجهاز سونار لسه فاكر اسمه لحد النهاردة. عندها أيقنت أن الصدق أقوى من الإعلان، وأن الشفافية تبنى ما لا تبنيه الأموال. من هنا، وُلدت فكرة "تاكسى الخير". كنت أنشر مكان تواجدى عبر وسائل التواصل الاجتماعى وأترك رقم هاتفي، وأحمل دفتر إيصالات مختومة من وزارة التضامن، وأنتظر الناس أو أذهب إليهم.. من مصر الجديدة إلى المعادى ومن وسط البلد إلى الرحاب، ومن أكتوبر إلى شبرا ومن الأسكندرية إلى بورسعيد. يجلس بيننا اليوم من شاركونى رحلات تاكسى الخير من أصدقائيالمخلصين، من زملائى وأساتذتى الصحفيين والإعلاميين.. شكرًا لكم فأنتم أصحاب الفضل وشركاء الحلم.

عدد من أبرز الحضور

من فعاليات احتفال المستشفى

وأوضح قائلا: هكذا جمعنا ثمن أرض المستشفى، من تاكسى الخير، فى يدى حتى اليوم هذه السرة من القروش، طالب جمع من مصروفه ١٠ قروش وربع جنيه قبل طبعًا أن يختفوا، اشترينا أرض المستشفى بعد أن فشلنا فى الحصول على أرض الجمعية الزراعية.. ألهمتنى تجربة غاندي، فجمعنا توقيعات من أهالينا الفلاحين المساهمين فى الجمعية الزراعية، ووافق مجلس الإدارة على إزالة الجمعية، ثم ظهر أعداء النجاح، فتحولت الإزالة بقدرة قادر إلى ترميم. ظن البعض وقتها أنهم عرقلونا، وأنهم وأدوا الحلم، لكننى اليوم لا بد أن أشكرهم،اليوم نفتتح صرحًا قابل للتوسعات بل توسعنا بالفعل ووضعنا أساسات المبنى الجديد المجاور لهذه القاعة، وجزء من أرضه كان تبرعًا من الراحل الكريم الأستاذ محمد عبدالفتاح تمراز، أسألكم الدعاء له بالرحمة والمغفرة، اليوم نفتتح المستشفى بينما لا يزال مقر الجمعية الزراعية كما هى ولا ينفع معها أى ترميم، وأرضها بقت جراج للعربيات.

وأضاف: اليوم أسعد أيام حياتى لكن الرحلة كانت شاقة.. فى بلد خارج من ثورة، واضطرابات، واقتصاد غير مستقر، وتعويم ورا تعويم، وكورونا، وارتفاع فى الأسعار، وحملات مسعورة ولجان مأجورة. واجهنا أزمات تكسر الجبال؛ بنك يرفض فتح حساب، وكيل وزارة يرفض يدينا ترخيص، ده غير أزمة تعلية المستشفى اللى استدعت تدخل رئاسة الجمهورية لحلها. ثم كانت، قطمة الظهر الكبرى، أوذيت فى أعز الناس، أخي، وتحملت، وصبرت ٥ سنين عجاف. صحيح كنت أضعف أحيانًا لكن رغم كل ده.. كنت برفع راية واحدة: "لن أيأس". وكل اللى انتقدوني، أو هاجموني، أو شككوا فى الحلم ده.. النهاردة أنا لازم أشكركم.. أيوه بأشكركم، لإنكم كنتم الوقود اللى بيزود حماسى وعنادى إنى أكمل. واليوم، يقف مستشفى ٢٥ يناير شاهدًا لا على جهد فرد، ولا مجموعة أفراد، بل على إرادة مجتمع وإخلاص الآلاف ودعم الملايين.

وأضاف فى يوم الفرح النهاردة، فيه ناس غايبة بأجسادها، بس حاضرة بأرواحها. ناس شاركونا البدايات وفارقونا قبل الحصاد، رحلوا قبل أن يروا الثمرة أو يشاركونا الافتتاح اليوم: إلى روح أحمد عبيدة، أشرف سعيد عابدين، محمد أبو سيد أحمد، محمد الخولي، والأستاذ عبد العزيز عيسوى الذى أهدانا أول مقر للجمعية .إلى الراحل محمد يسرى سلامة ومحمد أبو الغيط وحازم ديابوالحسينى أبو ضيف، وهبة خفاجي، ومندورة نجيب وأنيسة حسونة وهبة حسنى ونشوى إيهاب وأحمد عبدالقادر وفادى رمزى وكثيرون ممن شاركونى الحلم. كنت أتمنى أن يكونوا معنا اليوم، فلولاكم ما كنا هنا.

واختتم قائلا: إننا اليوم لا نفتتح مستشفى فحسب، بل نعلن أن الأمل يمكن أن يُبنى حجرًا فوق حجر. نعلن أن الثورة ليست ذكرى، بل ممارسة يومية فى خدمة الناس. نعلن أن الصحافة ليست مهنة فقط، بل رسالة، وأن الكلمة إذا اقترنت بالفعل صنعت واقعًا..

● رعاية عالية الجودة بالمجان

من جانبها، أكدت الدكتورة مها الرباط رئيس مجلس أمناء المؤسسة ووزيرة الصحة والسكان الأسبق، أن المستشفى تعمل طبقاً للتراخيص والاشتراطات المعتمدة من وزارة الصحة، لتقديم رعاية صحية عالية الجودة بالمجان، مشيرة إلى أن جميع العاملين بالمستشفى يعملون تحت شعار "المريض أولاً "، ويتم الإعتماد على أحدث أساليب الرعاية الصحية والتقنيات التكنولوجية الحديثة، لافته الى أن المستشفى تسهم فى تعزيز المنظومة الصحية، من خلال الإستفادة من الأبحاث الطبية وتطبيق أفضل المعايير المهنية والطبية.

وفى كلمته، أكد محافظ الشرقية أن افتتاح المستشفى لا يمثل مجرد تدشين مبنى طبى جديد، بل هو ثمرة جهد مخلص وتكاتف مجتمعى يُحتذى به، مشيراً إلى أن المشروع أقيم بالجهود الذاتية الخالصة، فى صورة مشرفة تعكس أصالة أبناء الشرقية وحرصهم على خدمة مجتمعهم. مثمناً الدور الهام لوزارة التضامن الإجتماعى بالاشراف على جميع التبرعات، بما يضمن أعلى درجات الشفافية والانضباط. وأوضح المحافظ أن إنشاء هذا الصرح الطبى المجهز بأحدث الأجهزة والتقنيات، يأتى فى إطار خطة الدولة لتطوير الخدمات الصحية، وتخفيف العبء عن كاهل المواطنين، خاصة فى القرى والمناطق ذات الكثافة السكانية، مؤكداً أهمية التوسع المستقبلى من خلال إنشاء المبنى الثانى لتلبية احتياجات المواطنين.

أضاف محافظ الشرقية، أن المحافظة تشهد طفرة كبيرة فى القطاع الصحي، من خلال تطوير ورفع كفاءة عدد من المستشفيات، من بينها مستشفيات الحسينية، وكفر صقر، وأبو كبير، ورمد الزقازيق، فضلًا عن إنشاء ٧٠ وحدة صحية جديدة ضمن المبادرة الرئاسية «حياة كريمة» بتكلفة تقدر ب نصف مليار جنيه، إلى جانب دعم القطاع الصحى بأجهزة وتجهيزات طبية تجاوزت قيمتها مليار جنيه، من بينها قسطرة قلب جديدة وزيادة أسرة العناية المركزة إلى نحو ٨٠٠ سرير، مع إستمرار العمل فى إنشاء مشروعات جديدة، من بينها مستشفى أبو حماد ومستشفى الزقازيق العام.

عقب مراسم الإفتتاح، تفقد محافظ الشرقية ومرافقوه أقسام المستشفى المختلفة، حيث استعرض الدكتور محمد صالح مكونات المستشفى وتجهيزاتها، موضحاً أنها تتكون من ثمانية أدوار تضم جميع التخصصات، وتشمل قسم الطوارئ، والعيادات الخارجية، والمعامل، والأشعة، والعمليات، وغرف الإفاقة، والرعاية المركزة، وحضانات الأطفال، والأقسام الداخلية، ووحدة القسطرة القلبية، وغيرها من الخدمات الطبية، كما حرص المحافظ على لقاء المواطنين داخل أقسام المستشفى وأجرى حواراً معهم للتعرف على الخدمات الصحية والعلاجية المؤداه إليهم.

كما قام المحافظ ومرافقوه بوضع حجر الأساس للمرحلة الثانية من توسعات المستشفى، بهدف زيادة الطاقة الاستيعابية وتقديم خدمات طبية لائقة بالمجان يستفيد منها أكبر عدد من المترددين عليها. وعلى هامش الاحتفالية، تم تكريم عدد من الضيوف وشركاء النجاح تقديراً لجهودهم فى إنجاز هذا الصرح الطبي، والذى يعد نموذجاً رائداً للتكامل بين مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، وتجسيداً حياً لقيم العطاء والتكافل، بما يعزز مسيرة التنمية الشاملة ويُرسخ حق المواطن فى الحصول على خدمة صحية كريمة وآمنة.

تقرير – هيباتيا موسى